ابن بطوطة

تحفة النظار

في غرائب الامصار، وعجائب الاسفار

درس ومنتخبات

بقلم

فؤاد افرام البستاني

استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف



الجزء الاول

المطبعة الكاثوليكية

بيروت

١٩٢٧

رحّالة العرب قبل ابن بطوطة

اتسع نطاق السلطنة الاسلامية ، وتشعّبت سلطة الخلافة العربية بين الكثير من الملوك والامراء الشعوبيين ، فانفرد بعضهم بالحكم الزمني ، واستقلّ غيرهم تماماً في المقاطعات السحيقة . فكان همّ الخلفاء الاصليين حفظ وحدة ما بقي تحت سلطتهم من البلاد ، وتوثيق عرى الألفة بين مختلف امراء الاسلام ، لردّ هجمات الاعداء الخارجيين ، او لقمع ما قد يحدث من الثورات الداخلية . وكلها امور لا يتسنّى منالها بسهولة ، الا اذا عُرفت البلاد سهلها وجبلها ، ودُرست السُبُل سالكها ووعرها ، وأُمنت طرق المواصلات برّيها وبحريها ، ونُظّمت اللوائح بمحصولات المقاطعات فقُرّر الخراج والضريبة بحكمة وعدل . فكان ذاك الدافع الاول لحوب البلاد الاسلامية ، ودرسها ، وتأسيس مصلحة البريد الجزيلة الفائدة بما انتجته من قياسات الأبعاد ، وتحديد البلدان ، وتسهيل الاسفار ، ووصف الاقاليم ، فزيادة المعلومات الجغرافية . وكفانا ذكر اسفار ابن خُرداذبه (+ ٩١٢) واليعقوبي (القرن العاشر) ، وقُدامة (+٩٢٢) والبَلخي (+ ٩٣٤) وابن حوقل (+ ٩٨١) ومؤلفاتهم القيمة برهاناً واضحاً على تأثير هذا السبب الاداري في توسيع نطاق الرحلات العربية

غير انه لما كانت غاية الامراء الاولى ، توثيق عرى الاتحاد بين البلدان

الاسلاميــة ؛ كان من الصعب على القائمين بالرحلات الرسمية ، تجاوز هذه المناطق الى غيرها من بلاد «الكفار» . فقام بسدّ هذه الثلمة تجار المسلمين من عرب وغــير عرب ، واخذوا بالرحلات العديــدة الخطرة الى ما وراء بــلادهم في طلب البضائع النادرة او لبيع ما عنــدهم من المحصولات . فوصلوا الى بلاد الفرو في الشمال ؛ وبلاد العاج والحرير والابهار المختلفة ، في الشرق ، وطلبوا المعادن في الجنوب حتى مقاطعات نوبية ، وفي الغرب حتى جبــل طارق . فاضافوا الى الرحلات الادارية الاسفار التجارية برّاً وبحراً وهي اوسع نطاقاً ، واكثر خطراً ، ولكنها افسح مجالاً للاختلاقات وذكر العجائب والخوارق . واوفر مثال لما يقاسيه المسافر وما يراه من الغرائب ، تلك الرواة الجميلة المعروفة « بسفرة السندباد البحري » . فانها ، على ما فيها من المغــالاة والاختراعات ، لا تخلو من اوصاف دقيقة لبعض موانئ الشرق الاقصى وجزره ، كوصف جزيرة سيلان وطريقة اكتساب الالماس فيها وما يتعلّق بوصف الكركدن والفيل ، وغير ذلك . وهناك ايضاً رحلة التاجر سليمان والتلخذاة ابن وهب ، الى بلاد الهند والصين ، التي كتبها ابو زيد السيرافي في القرن الثالث للهجرة (القرن التاسع) ، واجتهد في ان لا يذكر فيها الا الحقيقة . ويجب ألا ننسى ان رحلات ياقوت الرومي (١١٧٩— ١٢٢٩) الثــلاث الاولى ، كانت في سبيل التجارة فمهّدت له سبل الاسفار التي لم يحِد عنها حتى قبل وفاته بسنتين ، فجمع المعلومات العديدة ، وترك ذلك للمؤلف الجليل « معجم البــلدان » الذي جعل له اسماً عالياً في عالم الجغرافية .

وهناك عددٌ عديد من الرحّالة دفعهم حب العلم الى زيارة الاقطار المختلفة ، لا سيا ما كان منها سحيقاً غير معروف . فتركوا مواطنهم وساروا

شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، تشوقهم غرائب الشعوب المتباينة ، وتدفع بهم عجائب المخلوقات من جماد ونبات وحيوان مما لم يألفوه في بلادهم ، ويحثهم الاندفاع في المخاطر والمجاهل . وكان من اقدمهم الشاعر ابو دلف ابن مهلهل ، الذي سافر من بخارى في اوائل القرن العاشر برفقة احد امراء الهند ، فزار بلاد التيبت والهند ، ورجع ماراً بكشمير ، وافغانستان ، وسجستان . فكتب ما رآه في مجلد اسماه « عجائب البلدان » ، استعان به كثيراً ياقوت والقزويني . وفي القرن العاشر ايضاً نرى رجلاً من اعظم رحالة العرب ، وافكه مؤلفيهم ، واحلاهم نادرة ، الا وهو المسعودي (+ ٩٥٧) فانه اخذ برحلاته وهو في العشرين من عمره فزار بلاد الفرس (٩١٥) والخزر ، والهند ، وتيبت ، وجزيرة سيلان . ومنها ابحر فقطع بحر الصين والبحر الاحمر حتى وصل الى جزيرة كبالو ، وهي مدغسكر على قول بعض العلماء . ثم رجع عن طريق عمان وقصد الاقاليم التي على شاطئ بحر قزبين ، وبلاد الروم ، وسوريا ، وفلسطين ، ومصر ، والسودان ، وصقلية . وكانت نتيجة ملاحظاته ، وتفتيشاته ، وابحاثه ، كتابه العجيب ، اللذيذ الموسوم « بروج الذهب » الذي قد نختار منه قسماً وافياً . وممن دفعهم حب العلم والرغبة في الاختبارات الشخصية ، الى الاسفار ، ابو الريحان محمد البيروني (٩٧٣ — ١٠٤٩) الفيلسوف ، الرياضي ، الفلكي الشهير ، فساح في بلاد الهند ، ودرس اخلاق سكانها درساً علمياً ، وعاد فكتب في ذلك كتابه النفيس « تاريخ الهند » . ومنهم ابو عبيد البكري الاندلسي (١٠٤٠—١٠٩٤) فساح في بلاد عديدة من الشرق والغرب وألف الكتاب المعروف « بالمسالك والممالك » .

وخلا ما تقدم من الاسباب الادارية ، والتجارية ، والعلمية ، كان

لاتقياء المسلمين ، من غير العرب دافع قوي الى الرحلات ، الا وهو فريضة الحج ، فاغتنت الآداب العربية بعدّة اخبار عن البلدان التي يزورها الحجّاج في طريقهم. وانشأت فيها نوع الرحلات واشهر اصحابها : ابن جُبير الانــدلسي ، وابن سعيد المغربي، وهما ولا سيما الاول، من سبّاق ابن بطوطة الى الكثير من موصوفاته ، ومن المفيد ايراد كلمة عنهما :

ابن جُبير (١١٤٥ــ ١٢١٧)

وُلد في بلنسية. ورحل الى المشرق مرّتين : سافر في المرّة الاولى من غرناطة ١١٨٢ فاقام في البحر من الاندلس الى الاسكندرية ثلاثين يوماً. ثم اتجه نحو الحجاز فحجّ وسار الى الشام، والعراق ، وسوريا ، وفلسطين ، ثم ركب من عكاء راجعــاً الى المغرب فمرّ في خليج صقلّية. ووصل الى غرناطــة في ٢٥ نيسان ١١٨٥ . وبها دوّن ما كان جمعه من الاخبــار والمذكّرات في رحلته . وبعد مــدّة حنّ الى اعادة السفر فقام من بلاده قاصداً المشرق فزاره مرّةً ثانية. غير انه لم يرجع هذه المرّة الى بلاده بل توفي على الطريق وهو في الاسكندرية. هذا وان ابن جُبير ادقّ من ابن بطوطــة في الملاحظات ، واكمل في بعض الاوصاف ، واصدق في بعض الروايات ، ولعلّه امرٌ ناتج عن ان ابن بطوطــة فقد مذكّرات سفره على الطريق؛ فكان من الصعب عليه ان يتذكّر كل شيء . . كما ان انشاء ابن جُبير ارفع واكثر تأنّقاً غير انّ اكثره مسجّع يظهر فيه التكلّف بعض الاحيان. ورحلته جزيلة الفائدة ، قد نعود فنختار منها شيئاً وافياً .

ابن سعيد (١٢٠٨ او ١٢١٤ — ١٢٧٤ او ١٢٨٦)

وُلد قرب غرناطة وسافر الى مكة مع ابيه سنة ١٢٤٠ ليؤديان فريضة الحجّ. وبينما هما راجعان مات ابوه في الاسكندرية (١٢٤٣) فاقام ابن سعيد في القاهرة ثم رحل الى بغداد، فحلب، فالشام، فأعاد حجّ مكة ورجع الى المغرب، فاقام في تونس (١٢٥٤) وكان حب السفر قد تملّك من نفسه فتركها راجعاً الى الشرق (١٢٦٧). وكانت اخبار هولاكو قد طبقت الآفاق، فاراد ابن سعيد ان يرى هذا الطاغية، فقصد بلاطه في بلاد ارمينيا ثم رجع فمات في دمشق سنة ١٢٧٤ على قول ابن تغريبردي او في تونس سنة ١٢٨٦ على قول السيوطي والمقري. وابن سعيد اديب شاعر ترك آثاراً عديدة من اخبار اسفاره في كتاب « المُغرب ».

ولكنّ هذين السائحين، على ما جمعاه من الاخبار المفيدة والملحوظات الدقيقة، لا يعادلان في سعة البلدان التي قطعاها، ومختلف الشعوب التي درسا اخلاقها، ذاك السائح الشهير، والملاحظ الخبير، الذي جاب اكثر البلدان المعروفة في عصره، وجمع من المعلومات عن عادات الأمم ما قدّم الجغرافية خطوات من بعده. نريد به : ابن بطوطة

ابن بطوطة

١٣٠٤ ــ ١٣٧٧

الرجل

نشأته ـــ شبابه في طنجه (١٣٠٤ ـــ ١٣٢٥)

ابو عبد الله محمد بن عبدالله، بن محمد، بن ابراهيم اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطـة، والملقّب بشمس الدين؛ وُلد في طنجه، في ٢٤ شباط ١٣٠٤ (١٧ رجب ٧٠٣). وظلّ فيها الى سن الثانية والعشرين. ولا نعلم شيئاً عن احواله في هذه المدينة، الا ما يظهر من خلال اقواله، من انه كان يعيش مع والديه وكثير من الاصحاب براحة وطمأنينة. ولم تكن تمرُّ في باله المهاجرة، الى ان دعاه داعي الحجّ الى مكة فلبّاه.

اسفاره (١٣٢٥ ـــ ١٣٥٤)

ترك ابن بطوطة طنجة في ١٤ حزيران ١٣٢٥ قاصداً مكة. ولكنه لم يكتف بهذه السفرة بـل اطالها حتى جاب اكثر العالم المعمور في ذاك العصر كما سنذكره بالتفصيل في كلامنا عن الرحّالة. وكان في سفره ينال

كثيراً من الاكرام، حتى انه عُيِّنَ قاضياً لسلطان دهلي محمد شاه، ثم سفيراً لهذا السلطان لدى ملك الصين. وبعد ذلك رجع الى وطنه فدخل مدينة فـاس في ٨ تشرين الاول ١٣٤٩ وكان قد سلبه كفار الهنود في احد اسفاره فخسر جميع ما كان كتبه من المعلومات.

ولم يطل به المقام حتى قام برحلة ثانية الى اسبانيا رجع منها بعد مدّة قصيرة الى فاس.

وكان له ان يكون اول زائر دوّن معلومـاته عن مجاهل افريقية المتوسطة فاستعدّ لرحلة ثالثة اتمّها في مدّة سنتين (١٣٥٢ــ١٣٥٤) فزار بـلاد السودان حتى وصل الى تُنبكتو، وتكدّا، وهكار ثم رجع الى فاس.

بعد اسفاره (١٣٥٤ — ١٣٧٧) ــ املاء الرحلة

وكان امير مراكش حينذاك السلطان ابا عنان من بني مرين، فاتصل به ابن بطوطة، واقام في حاشيته، يحدّث النـاس عمّا رآه من العجائب والغرائب، وهم يستغربون. فأجزل له السلطان المواهب وتقدّم اليه ان يكتب هـذه الاخبار والمشاهد العديدة فـاملاها على كاتب السلطان، الاديب محمد بن جُزَيّ الكلبي. فانتهى من كتابتها في شباط ١٣٥٦ وسمّاها: «تحفة النظار في غرائب الامصار، وعجائب الاسفار». وعاش ابن بطوطة بعد ذلك مكرّماً في بلاد فاس الى ان توفي سنة ١٣٧٧ .

أخلاقه وصفاته

كان ابن بطوطة، على مـا يظهر في رحلته، رقيق الشعور، سريع

التأثر، متديناً تقياً، مكرماً لرجال الله، ومحباً لوالديه. وقد حفظ هذه العواطف في كل اسفاره فكان يذكر جميع من يشاهدهم من المشايخ والزاهدين، والفقراء المتعبدين، ويثني عليهم، ويطلب بركتهم. وكذلك يورد كل ما يسمعه من اعمال الخير ومنشآت الصالحين من اوقاف وملاجئ وغيرها، سائلاً الله ان يجزي رجال الاحسان خير جزاء. وكم من مرة رأيناه يتبرك بقبور الاولياء ومزارات الصالحين ويبيت في الزوايا. وقد حج الى مكة اربع مرات وهو لا يفتر عن ذكر ما ناله من الخيرات بسبب ذلك.

اما حبه لوالديه فيظهر جلياً، في مقدمته، اذ يذكر انه تركهما وهما في قيد الحياة «فتحمل لبعدها وصباً، ولقي كما لقيا من الفراق نصباً». ولم يعد من رحلته الاولى سنة ١٣٤٩ حتى بلغه ان أمه توفيت؛ فحزن، وترك حاشية الملك ابي عنان في فاس الى بلده طنجة «قاصداً زيارة قبر الوالدة». ومن سرعة تأثره فرحه الجزيل لدى اقل انعام يحصل عليه، وحزنه الصبياني الممزوج بالتباكي، او الغضب، اذا لم يكترث له احد. وما رأيكم في رجل لا يكاد يضيفه انسان الّا اصبح اعزّ صديق له، حتى اذا دخل مدينة فلم يسلّم عليه احد لعدم معرفتهم به، يجد من ذلك في نفسه ما لا يملك معه سوابق العَبْرة، فيشتد بكاؤه الى ان يشعر بحاله بعض الحجاج فيقبلون عليه بالسلام والايناس (١ وان سرعة التأثر هذه، التي من نتيجتها سرعة التبليد، اي موافقة اخلاق الرجل لاخلاق القطر النازل فيه، تشرح لنا تعوّد ابن بطوطة مفارقة اهله، والاقامة في بلاد غريبة عنه، وهو على ما عرفنا من شدّة التعلق، ورقّة العواطف.

---

١) انظر المنتخبات (ص: ١٢ — ١٣)

الرحالة

البلاد التي اجتازها

قام ابن بطوطة بثلاث رحلات مهمة جاب بها اكثر بلاد المعمور المعروفة في زمانه :

الرحلة الاولى ١٣٢٥ — ١٣٤٩

ترك طنجه قاصداً مكة فجاب بلاد مراكش — الجزائر — تونس — طرابلس الغرب — مصر . وسار من الفسطاط (القاهرة القديمة) الى الصعيد حتى عيذاب قاصداً الإبحار من هناك الى الحجاز . ولما تعذّر سفره بحراً ، بسبب حرب ملك البجاة مع المماليك ، رجع الى مصر وتابع رحلته عن طريق فلسطين — لبنان — سوريا — الحجاز فحج مرةً اولى ، ورحل الى العراق — العجم — بلاد الاناضول — ومنها رجع الى الحجاز فحج ثانيةً واقام في مكة سنتين (١٣٢٨ و ١٣٢٩) .

وبعد ذلك ترك الحجاز قاصداً اليمن فقطعه الى افريقيا الشرقية ثم عاد ماراً بجنوبي جزيرة العرب حتى وصل الى خليج فارس زائراً عمان — هرمز — اللار — البحرين — الاحساء — ومن هناك عاد الى الحجاز فحج ثالثةً .

ثم ترك مكة فهبط مصر ثانيةً ورجع الى فلسطين — لبنان — بلاد العلويين — الاناضول — بلاد القريم . ثم رافق الاميرة اليونانية امرأة السلطان

محمد ازبك الى القسطنطينية فاقام بها مدّة.وعاد الى الهند مارًّا بخوارزم— خراسان — تركستان—افغانستان— كابول — السند · واقام في دهلي سنتين قاضياً لسلطانها محمد شاه، على المذهب المالكي ·

وكان ان هذا السلطان اراد ارسال بعثة الى ملك الصين فرافقها ابن بطوطة حتى جزر ذيبة المهل حيث اقام قاضياً سنة ونصف سنة ، وتركها بعد ذلك ، الى جزيرة سيلان — ملبار— بنغال— جزائر الهند— الصين ·

ثم رجع الى بلاد العرب عن طريق سومطرة فنزل ظفار في شهر محرّم ٧٤٨ (١٣٤٧) — وبعد ان زار مرّةً أخرى ، بلاد العجم — العراق— سوريا— فلسطين، حجّ رابعةً الى مكة ورجع نهائياً الى بلاده مارًّا بمصر— تونس— الجزائر، فوصل الى فاس في ٨ تشرين الثاني ١٣٤٩ ·

الرحلة الثانية

ولم يقم طويلاً في فاس حتى تركها الى الاندلس فمرّ بطنجة — سبتة— جبل طارق— ملقة— غرناطة ثم رجع الى فاس·

الرحلة الثالثة (١٣٥٢ — ١٣٥٤)

زار في هذه الرحلة المهمّة بلاد السودان مبتدئاً بسجلماسة— تغازى — ايوالاتن— مالي — زاغري — كارسخو— تُنبكتو—تكدا — هكّار. ثم رجع الى مقرّه بفاس·

صدقه وامانته

اقام ابن بطوطة بعد رحلاته في حاشية الملك ابي عنان يُخبر الناس

عمّا رآه من العجائب والغرائب في اخـلاق الشعوب، وعـاداتهم وفي حول الخـلائق، من نبات وحيوان وانسان. فكان الكثيرون يقبلون عليه مستغربين هذه الامور، وكان البعض من مدّعي النقد يكذّبونه فينهاهم آخرون عن تكذيب امور لا يعرفون من حقيقتها شيئاً. واحسن تصوير لحالة ابن بطوطة هذه، ما رواه ابن خلدون في مقدّمته، اذ قال :

« ورد بالمغرب، لعهد السلطان ابي عنان، من ملوك بني مَرين، رجلٌ من مشيخة طنجة، يُعرف بابن بطوطة، كان رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق، وتقلّب في بـلاد العراق واليمن والهند. ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهنـد، وهو السلطان محمد شاه وكان له منـه مكان، واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله. ثم انقلب الى المغرب، واتصل بالسلطان ابي عنـان. وكان يحدّث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الارض. واكثر ما كان يحدّث عن دولة صاحب الهند، ويأتي من احواله بما يستغرب به السامعون، مثل ان ملك الهند، اذا خرج الى السفر، احصى اهل مدينته من الرجال والنساء والولدان، وفرض لهم رزق ستة اشهر تُعطى لهم من عطائه. وانه عنـد رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود، يبرز فيه النـاس كافةً الى صحراء البـلد ويطوفون به. وينصب امـامه في ذلك الحفل منجنيقات على الظهر، تُرمى بها شكائر الدراهم والدنانير على الناس الى ان يدخل ايوانه. وامثال هذه الحكايات. فتناجى الناس بتكذيبه.

« ولقيت ايامئذٍ وزير السلطان فارس بن وَرْدار، الذائع الصيت، ففاوضته في هـذا الشأن، فقال لي الوزير فارس : « اياك ان تستنكر مثل هذا من احوال الدول، بما انك لم تَرَه. . . »

وينهي ابن خلدون فصله قائلًا :

« فليرجع الانسان الى أصوله ، وليكن مهيمناً على نفسه ، ومميّزاً بين طبيعة المُمكن ، والممتنع ، بصريح عقله ، ومستقيم فطرته . فما دخل في نطاق الامكان قبله ، وما خرج عنه رفضه . وليس مرادنا الامكان العقلي المُطلق ، فان نطاقه اوسع شيء . فلا يُفرض حدّاً بين الواقعات ؛ وانما مرادنا الامكان بحسب المادّة التي للشيء . فانا اذا نظرنا اصل الشيء وجنسه ، وصنفه ، ومقدار عظمه وقوّته ، أجرينا الحُكم من نسبة ذلك على احواله ، وحكمنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه »(١) . ولم يكن ابن خلدون اول من شكّ في ذلك بل ان ابن جُزَيّ نفسه وهو كاتب الرحلة لم يخلُ من بعض شكوك فقال : « واوردت جميع ما اورده من الحكايات والاخبار ، ولم اتعرّض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار » على انه يمكننا عرض بعض ما يذكره الرحالة من المبالغة على الاصول التي اوردها ابن خلدون .

وهناك قياس آخر لمعرفة صحة اقوال رحالتنا ، وصدق احكامه ، وهو ما اتخذه علماء المستشرقين ، من مقابلة اقواله باقوال المسافرين من بلادهم ، في عصر يُقارب عصره . ومن اشهر هؤلاء المسافرين الايطالي فريسكو بالدي الذي زار مصر سنة ١٣٨٤ ، اي بعد ابن بطوطة بنحو ستين سنة . وكانت حركة المراكب على النيل قد خفّت بهبوط مصر عن درجة رخائها العالية ، التي اوصلها اليها السلطان محمد بن قلاوون . اما ابن بطوطة فيقول : « ان في النيل من المراكب ستة وثلاثين الفاً للسلطان والرعية تمرّ صاعدةً

---

(١) ابن خلدون : المقدّمة — طبعة بيروت ١٩٠٠ — ص : ١٨١ — ١٨٢

الى الصعيد ومنحدرة الى الاسكندرية ودمياط »(١ وهو عدد يكاد يشك في صحته لاول وهلة. ولكننا نرى المسافر الايطالي يقول: « كان في القاهرة عدد لا يحصى من المراكب حتى انه لو جمعت جميع المراكب التي شاهدتها في جنوى، والبندقية، وانكونا، بصرف النظر عن المراكب ذات القنطرتين، لما عادلت ثلث المراكب التي شاهدتها هنا . . . »(٢

ثم ان ابن بطوطة يقدّر السقّائين على الجمال في مصر باثني عشر الف سقاء، والمكارين بثلاثين الفاً. فاذا قابلناه بتقدير فريسكو بالذي المذكور نرى الايطالي اكثر مبالغة، اذ انه يقدّر عدد الجمال والحيوانات، التي تنقل الماء في المدينة، بمائة وثلاثين الفاً.

وقد اخذ بعضهم على ابن بطوطة كثرة سرد الخوارق والمعجزات والكرامات، والمبالغة فيها. ونحن اذا ما عرفنا عقليّة المسافر في رحلته، وشدّة تقواه وعبادته، واستعداده لرؤية العجائب تحفّ بكل ولي متعبّد، نفهم كثرة اخبار الكرامات في كتابه. هذا بصرف النظر عن ان كثيراً منها لم يشاهده عياناً بل رُوي له، فاستصعب انكاره على أولياء الله، ورأى من الجرأة الشكّ بصحته، فرواه على علّاته. من ذلك قصّة جمال الدين الساوي، الحليق اللحية، وانباته لحية جميلة سوداء، فلحية أخرى بيضاء، فرجوعه حليقاً لا شعر له، كما تراه في مقالة « دمياط » (٣.

---

١) انظر المنتخبات (ص: ٢٢)

٢) راجع — Defrémery et Sanguinetti : Voyages d'Ibn Batoutah — Préface p. X et XI

٣) انظر المنتخبات (ص: ١٩)

وعلى هــذا الحمل يلزم حمل الكثير من المرويات عن ملوك الهند والسودان وعاداتهم الغريبة مثل التي اوردها ابن خلدون . وهي لا يستبعد حدوثها مرّة واحــدة بعد انتصار عظيم او في احتفال نادر ، فوافق ذلك وجود ابن بطوطة في حاضرته ، فتعجّب منه . فقيل له انه يجري كلما خرج الملك افتخاراً وطلباً للاشتهار . فاورده كالاخبار العيانية (١

وذلك لانه من الصعب نسبة الكذب ، وقصد الغش ، الى ابن بطوطة وهو رجل لا نشعر في كل سطر نقرأه له الّا بسذاجة وبساطة نافيتين كل احتيــال . فاذا نسي اسم رجل او مكان ، لا يخترع اسماً له كما قد يفعل من يكون همّهم الوحيــد تسلية القارئ ، بل يقول بكل بساطة انه نسيه ، كما حدث له في « حصن الاكراد » فقال : « ونزلت عند قاضيها ولا أحقق الان اسمه » وفي بلدٍ في السودان بعد تُنبكتو ، فقال : « ثم وصلت الى بلدٍ أُنسيت اسمه » الى آخر ما هنالك من الامور التي تدلُّ على صدقه حتى ان العلّامة دوزي (Dozy) سمّاه : « هذا الرحّالة الامين ! » (٢

اما ما نراه من الوهم في ترتيب بعض المحالّ ، والخلط بين المواقع كما حصل في بُحيرتي البرلّس وتنّيس (٣ ، او الخطأ الجغرافي كوضع العاصي في حلب (٤ ، فيلزم ان نشرحه بان ابن بطوطة فقد مذكّراته في رحلته الاولى بعد سفره من بخارى . ويؤيد قولنا ان هذا التردّد لا يتجاوز القسم الاول

---

١) راجع : ابن بطوطة ' في دائرة المعارف للبستاني

٢) Journal Asiatique, t II de 1850 p. 845.

٣) انظر المنتخبات (ص : ١٧)

٤) انظر المنتخبات (ص : ٤٠)

من الرحلة . وكان قد مرّ على ابن بطوطة اكثر من عشرين سنة عند املائه اياه .

قيمته

ولا يؤخذ مما تقدّم ان ابن بطوطة يعادل جوّابي الآفاق، ودارسي المجاهل، من علماء عصرنا . فليس ابن بطوطة عالماً ولا مفكّراً . ان هو الا رحّالة، متّسع العقل، راغب في الجديد الغريب، يرى الاقاليم المتباعدة، والشعوب المتباينة، والملوك والامراء المختلفين، والعلماء والشيوخ المشهورين وغير المشهورين، فيصوّر كل ذلك بجملة مقبولة، واعجاب ساذج، وملاحظة فكهة لا تخلو من دقّة نظر . فهو من هذا القبيل في مقدّمة الرحّالين؛ ولا غنى عنهم في تحسين علم الجغرافية وصرفه عن جفاف الخرائط والخطوط، الى محيط الحياة المتنوّع .

الرحلة

كتابتها وانشاؤها

قال ابن جُزَيّ ان ابن بطوطة املى عليه الرحلة فنقل «معاني كلام الشيخ بالفاظ موفية للمقاصد التي قصدها.. وربما اورد لفظه على وضعه.» اذن لا نقدر ان نحكم ان الرحلة بكاملها من انشاء ابن بطوطة، او انها بكاملها من انشاء ابن جُزَيّ.

على انه يلوح لنا ان مقدّمة الكتاب والخاتمة وكل مقدّمة لوصف مدينة كبيرة من انشاء ابن جُزَيّ لما فيها من كثرة التنميق والسجع الظاهر التكلف احياناً، لا سيما وان ابن جُزَيّ كان يستعين كثيراً برحلة ابن جبير، وهي كثيرة السجع وافرة التنميق كما ذكرنا.

وفي ما سوى ذلك فان الرحلة سهلة الانشاء، ساذجة التعبير، حتى تكاد تجاور الانشاء المنحطّ احياناً. فتبدو خالية من فنّ التأليف والترتيب، وهذا فنّ صعب في كتابة من هذا النوع، عرضة للمراجعة والترديد.

نسخها وطبعاتها، وترجماتها

اهتمّ الافرنج كثيراً برحلة ابن بطوطة وبحثوا عن نسخها الاصلية فلم يجدوا اولاً الا مختصراً اكتشفه السائح بوركهاردت (Burckhardt)

فاظهر مع العالم سيتزن (Seetzen) قيمة هذا المؤلف الكبير. ثم اكتشف المستشرق كوسغارتن (Kosegarten) نسخةً ثانية فترجم عنها الى اللغة اللاتينية ما يختص باسفار ابن بطوطة الى افريقية وفارس، وبلاد التتر، والجزائر، ونشرها سنة ١٨١٨. وترجم المستشرق ابيتز (Apetz) الى اللاتينية ايضاً، قسم الرحلة المختص ببلاد ملبارد، سنة ١٨١٩.

وفي سنة ١٨٢٩ ترجم قسماً وافراً من الرحلة الى الانكليزية، القسيس صموئيل لي (Rev. Samuel Lee) وطبعه في لندن. ثم قام الاب مورا (P. José de Santo-Antonio Moura) البرتغالي فترجم قسماً منها الى اللغة البرتغالية طبع في لسبونه سنة ١٨٤٠.

وبعد ذلك قام بعض علماء الفرنسويين فترجموا اقساماً مختلفة من الرحلة طبعوها في باريس منهم المستشرق الشهير دي سلان (de Slane) طبع ترجمة الرحلة الى السودان في المجلة الاسيوية (١٨٤٣) والمستشرق ادوار دياوريه (Dulaurier) طبع ترجمة الرحلة الى جزر الهند في المجلة نفسها (١٨٤٧). فالمستشرق دفريري(Defrémery)فطبع ترجمات لاقسام الرحلة في العجم، وآسيا المتوسطة، والقريم، وآسيا الصغرى، والعراق، وخراسان سنة ١٨٤٨ و ١٨٥ و ١٨٥١. ثم طُبع القسم المختص بالمغرب مع ترجمته الالمانية سنة ١٨٦٦ بعناية المستشرق الكويست (Almquist).

وكان اكثر العلماء المتقدّمين يظنّون ان المختصر المكتشف اولاً هو من عمل ابن جُزَيّ حتى اكتشفت النسخة الاصلية بخطّ الكاتب، واكتشف نسخ عديدة غيرها فقوبلت وطبعت كلها لاول مرّة، مع ترجمتها الكاملة الى اللغة الافرنسية وبعض ملحوظات، في باريس سنة ١٨٥٣—١٨٥٩ في اربعة مجلّدات بعناية المستشرقين دفريري وسانغويتّي

(C. Defrémery et le Dr B. R. Sanguinetti) ثم طبعت طبعةً ثالثةً سنة ١٨٩٣ .

وللرحلة كاملةً طبعتان عربيتان في القاهرة مأخوذتان عن الطبعة البارييسية اولاهما سنة ١٢٨٧—١٢٨٨ (١٨٧٠—١٨٧١) والثانية سنة ١٣٢٢(١٩٠٤) . وكان قد طُبع مختصر الرحلة في مصر سنة ١٢٧٨(١٨٦١) طبعاً حجرياً .

وقام بطبع آخر ترجمة المانية للرحلة المستشرق مزيك (Mzik) فطبعها في هامبورغ (١٩١١—١٩١٢) . وللرحلة ايضاً ترجمة تركية اسمها « تقويم وقائع » .

واننا ، في منتخباتنا هذه ، استندنا الى طبعة باريس الكاملة والطبعتين المصريتين .

اقسامها

قَسم ابن جُزَيّ الكتاب الى قسمين ، ينتهي الاول منهما بوصول ابن بطوطة الى نهر السند « بنج آب » في آخر ذي الحجة سنة ٧٣٤ (١٣٣٣) . وقد تبع هذا التقسيم في الطبعتين المصريتين فاتت كل منهما في مجلدين .

فرأينا في منتخباتنا ان نشير الى هذا التقسيم عند الوصول اليه وان نقسم الرحلة الى ثلاثة اقسام موافقة للرحلات الثلاث المذكورة قبل هذا الكلام في فصل « الرحالة » .

وكان ابن جُزَيّ قد جعل عناوين لبعض الامور المهمة ؛ ولكنه لم يعمّ ذلك ، ولم يجعل عناوين لذكر المدن وهي من الاهمية بمكان . فرأينا ان نقوم بهذا الامر ، كما اننا رأينا ان نجعل عناوين أُخر لاسماء البلدان

المختلفة التي يزورها الرحّالة مع الاحتفاظ بعناوين ابن جُزَيّ الاصلية.

وكي لا يلتبس ما نذكر من العناوين بعناوين الكاتب رأينا ان نكتب هذه بجسم ٢٢ ونفرق بين عناوينا فنكتب المهمّ منها بالجسم الفارسي والاقل اهمية بجسم ١٤.

قيمتها

وهنا نرى من الفضول التبسُّط في وصف فائدة هذه الرحلة الجمّة، وما انتجته لعالم الجغرافيا من المعلومات القيّمة، وما يكون لقراءتها من التأثير الحسن في عقول المتأدبين، فنكتفي بشهادة العالم سيتزن الرحّالة المشهور، قال ما معناه:

«اي مسافر اوروبي في هذا العصر يمكنه الافتخار بانه خصّص قدر هذا الزمن الذي يبلغ نصف حياة الانسان، في سبيل التفتيش عن مثل هذا العدد من البلدان السحيقة. وذلك بشجاعة لا يزعزعها شيء، وبتحمّل المشقّات العديدة؟ بل اية أُمّة اوروبية كان يمكنها، لخمسة قرون خلت، ايجاد مسافر يجوب المناطق الاجنبية، بمثل هذا الاستقلال في الحكم، وبمثل هذه المقدرة على المراقبة، وبمثل هذه الدقّة في كتابة الملحوظات، الذي اتصف بها هذا الشيخ المراكشي المشهور، في المجلّدين من كتابه؟ ان معلوماته عن الكثير من المقاطعات الافريقية المجهولة، وعن نهر النيجر، وعن بلاد الزنج (زنجبار)... الخ لا تقلّ فائدة عن معلومات لاون الافريقي. اما جغرافية بلاد العرب، وبخارى، وكابول، وقندهار، فانها تستفيد كثيرًا من كتابه؛ حتى اخباره عن الهند، وسيلان،

وسومطرة ، والصين . . . فانه من الواجب على انكليز الهند ان يقرأوها باهتمام خاص » (١ .

ولما كان ابن بطوطة اول رحالة الى قلب افريقيا وصلتنا معلوماته ، كان لهـذه المعلومات قيمة جزيلة ، لان كاتبها جاب افريقيا من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الشمال الغربي ، فكان ما كتبه لا يقلّ في اكثر نقاطه ، عن افادات رحالي عصرنا العلماء .

مآخذ

ابن جُزَيّ : مقدّمة الرحلة

البستاني : دائرة المعارف — ابن بطوطة

C. Defrémery et le Dr B. R. Sanguinetti : Voyages d'Ibn Batoutah — 4 V. — Paris, 1853-1859 —Préface.

Brockelmann : Ibn Baṭṭūṭa — Encyclopédie de l'Islam.

Bon Carra de Vaux : Les Grands Voyageurs — dans les Penseurs de l'Islam t. II — Paris, 1921.

---

١) مذكورة في Defrémery et Sanguinetti : Voyages d'Ibn Batoutah — Préface p. VII.

تحفة النظار

في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

الرحلة الاولى

١٤ حزيران ١٣٢٥ — ٨ تشرين الثاني ١٣٤٩

مراكش — الجزائر — تونس — طرابلس الغرب — مصر — فلسطين — لبنــان — سوريا — الحجاز — العراق — العجم — ديار بكر — الحجاز — اليمن — افريقيا الشرقية — اليمن — عمان — هرمز — اللار — البحرين — الاحساء — الحجاز — مصر — فلسطين — لبنــان — بلاد العلويين — الاناضول — القريم — روسيا الجنوبية — القسطنطينية — بلاد التتر — خوارزم — خراسان — تركستان — افغانستان — كابول — السند — الهند — جزائر ذيبة المهل — جزيرة سيلان — ملبــار — جزائر ذيبة المهل — بنغال — جزائر الهند — الصين — الهند — مسقط — العجم — العراق — سوريا — فلسطين — مصر — الحجاز — مصر — تونس — الجزائر — مراكش .

تحفة النظار

في غرائب الامصار وعجائب الاسفار



مقدّمة ابن جُزَي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه، العالم الثقة النبيه، الناسك الابرّ، وفد الله المعتمر، شرف الدين المعتمد في سياحته على ربّ العالمين، ابو عبدالله محمد بن عبد الله، بن محمد، بن ابراهيم اللواتي، ثمّ الطنجي، المعروف بابن بطوطة رحمه الله، ورضي عنه بمنه وكرمه، آمين ! آمين :

الحمد لله الذي ذلّل الارض لعباده «ليسلكوا منها سبلاً فِجاجاً» (١ وجعل منها واليها تاراتهم الثلاث : نباتاً، وإعادةً، وإخراجاً (٢. دحاها بقدرته فكانت مهاداً للعباد، وارساها بالاعلام الراسيات والاطواد،

١) القرآن : (سورة نوح : ١٩)

٢) القرآن : « منها خلقناكم، وفيها نعيدكم، ومنها نخرجكم تارةً اخرى » سورة طه : ٥٧) وسورة نوح : ١٦–١٧)

ورفع فوقها سمك السماء بغير عماد ؛ واطلع الكواكب هداية في ظلمات البرّ والبحر ، وجعل القمر نوراً ، والشمس سراجاً . ثم انزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد الممات ، وانبت فيها من كل الثمرات ، وفطر اقطارها بصنوف النبات ، وفجر البحرين : عذباً فراتاً ، وملحاً اجاجاً (١ . واكمل على خلقه الإنعام ، بتذليل مطايا الأنعام ، وتسخير «المُنشآت كالأعلام» (٢ ، لتمطوا من صهوة القفر ومتن البحر اثباجا .

وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد ، الذي اوضح للخلق منهاجــاً ، وطلّع نور هدايته وهاّجاً . بعثه الله تعالى رحمةً للعــالمين ، واختاره خاتماً للنبيّين ، وامكن صوارمه من رقاب المشركين ، حتى دخل الناسُ في دين الله افواجاً . وايّده بالمعجزات الباهرات ، وانطق بتصديقه الجمادات ، واحيي بدعوته الرمم الباليات . وفجر من بين اناملة «ماء ثجاجاً» (٣ .

ورضي الله تعالى عن المتشرّفين بالانتماء اليه اصحاباً ، وآلاً ، وازواجاً ، المقيمين قناة الدين فلا تخشى بعدهم اعوجاجاً . فهم الذين ازّروه على جهاد الاعداء ، وظاهروه على اظهار الملّة البيضاء ، وقاموا بحقوقها الكريمة من الهجرة ، والنصرة ، والإيواء (٤ ؛ واقتحموا دونه نار البأس حامية ، وخاضوا بحر الموت عجاجاً .

---

١) القرآن : «وهو الذي مَرَج البحرين : هذا عذب فُرات ، وهذا ملح أجاج» (سورة الفرقان : ٥٥)

٢) اي المراكب — القرآن : (سورة الرحمن : ٢٤)

٣) القرآن : (سورة النبا : ١٤)

٤) تلميح الى المهاجرين الذين رحلوا مع محمد من مكة الى يثرب ، والى الانصار الذين استقبلوه ونصروه في المدينة

الدعاء للخليفة ومدحه

ونستوهب الله تعالى لمولانا الخليفة امير المؤمنين، المتوكل على الله رب العالمين، المجاهد في سبيل الله، المؤيد بنصر الله، ابي عنان فارس(١ ابن موالينا الأئمة المهتدين، الخلفاء الراشدين، نصراً يوسع الدنيا واهلها ابتهاجاً، وسعداً يكون لزمانة الزمان علاجاً، كما وهبه الله بأساً وجوداً، لم يدع طاغياً ولا محتاجاً، وجعل بسيفه، وسيبه، لكل ضيقة فراجاً. وبعد فقد قضت العقول، وحكم المعقول والمنقول، بأن هذه الخلافة العليّة، المجاهدة، المتوكلية، الفارسيّة، هي ظلّ الله الممدود على الانام، وحبله الذي به الاعتصام، وفي سلك طاعته يجب الانتظام. فهي التي ابرأت الدين عند اعتلاله، واغمدت سيف العدوان عند انسلاله، واصلحت الايام بعد فسادها، ونفّقت سوق العلم بعد كسادها، واوضحت طرق البرّ عند انهاجها، وسكّنت اقطار الارض عند ارتجاجها، واحيت سنن المكارم بعد مماتها، واماتت رسوم المظالم بعد حياتها، وأخمدت نار الفتنة عند اشتعالها، ونقضت احكام البغي عند استقلالها، وشادت مباني الحق على عمد التقوى، واستمسكت من التوكل على الله بالسبب الاقوى. فلها العزّ الذي عقد تاجه على مفرق الجوزاء، والمجد الذي جرّ اذياله على مجرّة السماء، والسعد الذي ردّ على الزمان غضّ شبابه، والعدل الذي مدّ على اهل الايمان مديد اطنابه، والجود الذي قطرُ سحابه اللجينُ والنُضار، والبأس الذي فيضُ غمامه الدم المؤار (٢ والنصر الذي نفض

١) هو احد امراء بني مَرين الذين حكموا مراكش، بعد ان طردوا امراء الموحدين، من ١٢٦٩ الى ١٥٥١

٢) المؤّار: اسم مبالغة من مار الدم اي جرى فتردّد عرضاً واضطرب في جريه

كتائبه الاجل، والتأييد الذي بعض غنائمه الدول، والبطش الذي سبق سيفه العذل، والاناة التي لا يملّ عندها الامل، والحزم الذى يسدّ على الاعداء وجوه المسارب، والعزم الذي يفلّ جموعها قبل قراع الكتائب، والحلم الذي يجني العفو من ثمر الذنوب، والرفق الذي اجمع على محبته بنات القلوب، والعلم الذي يجلو نوره دياجي المشكلات، والعمل المقيّد بالاخلاص، والاعمال بالنيات!

ولما كانت حضرته العليّة مطمح الآمال، ومسرح همم الرجال، ومحطّ رحال الفضائل، ومثابة أمن الخائف ومنية السائل، توخّى الزمان خدمتها ببدائع تُحفِه، وروائع طُرَفِه، فانثال (١ عليها العلماء انثيال جودها على الصفات، وتسابق اليها الادباء تسابق عزماتها الى العدّات. وحجّ العارفون حرمها الشريف، وقصد السائحون استطلاع معناها المنيف، ولجأ الخائفون الى الامتناع بعزّ جنابها، واستجارت الملوك بخدمة ابوابها. فهي القطب الذي عليه مدار العالَم، وفي القطع بتفضيلها تساوت بديهة عقل الجاهل والعالِم، وعن مآثرها الفائقة يُسند صِحاح الآثار كل مسلم(٢، وبا كمال محاسنها الرائقة يفصح كل معلم.

ذكر ابن بطوطة

وكان ممن وفد على بابها السامي، وتعدّى اوشال (٣ البلاد الى بحرها

---

١) انثال: انثال الناس على فلان: انصبّوا

٢) في هذا اشارة الى « مسلم » الفقيه (٨١٧—٨٨٥) جامع الحديث، وكتابه المشهور « الصحيح »

٣) اوشال: جمع وشل وهو الماء القليل

الطامي ، الشيخ الفقيه، السائح الثقة الصدوق ، جوّاب الارض ، ومخترق الاقاليم بالطول والعرض ، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم اللواتي ، الطنجي ، المعروف بابن بطوطة ، المعروف في البلاد الشرقية بشمس الدين . وهو الذي طاف الارض معتبراً ، وطوى الامصار مختبراً ، وباحث فِرَق الأُمم ، وسبر سِيَر العرب والعجم . ثم القى عصا التسيار بهذه الحضرة العليا ، لما علم ان لها مزيّة الفضل دون شرط ولاثنيا (١) ، وطوى المشارق الى مطلع بدرها بالمغرب ، وآثرها على الاقطار إيثار التبر على الترب ، اختياراً بعد طول اختبار البلاد والخلق ، ورغبةً في اللحاق بالطائفة التي لا تزال على الحق . فغمره من احسانه الجزيل، وامتنانه الحفيّ الحفيل، ما انساه الماضي بالحال، واغناه عن طول الترحال ، وحقّر عنده ما كان، من سواه، يستعظمه، وحقّق لديه ما كان، من فضله ، يتوهّمه ، فنسي ما كان لقيه من جولان البلاد ، وظفر بالمرعى الخصب بعد طول الارتياد .

املاء الرحلة

ونفذت الاشارة الكريمة بان يُملي ما شهده في رحلته من الامصار ، ما علق بحفظه من نوادر الاخبار ، ويذكر من لقيه من ملوك الاقطار ، علمائها الاخيار ، واوليائها الابرار . فاملى من ذلك ما فيه نزهة الخاطر ، بهجة المسامع والنواظر ، من كل غريبة افادَ باجتلائها ، وعجيبة اطرف بانتحائها .

مهمة ابن جزيّ — طريقته في الكتابة

وصدر الامر العالي لعبد مقامهم الكريم، المنقطع الى بابهم، المتشرّف

---

١) ولاثُنيا : أي دون إستثناء

بخدمة جنابهم، محمد بن محمد بن جُزَيّ الكلبي ، اعانه الله على خدمتهم ، واوزعه شكر نعمتهم ، بان يضمّ اطراف ما املاه الشيخ ابو عبد الله من ذلك ، في تصنيف يكون على فوائده مشتملًا ، ولنيل مقاصده مكملًا ، متوخياً تنقيح الكلام وتهذيبه ، معتمداً ايضاحه وتقريبه ، ليقع الاستمتاع بتلك الطُرف ، ويعظم الانتفاع بدرّها عند تجريده عن الصدف . فامتثل ما أمر به مبادراً ، وشرع في منهله ليكون ، بعونة الله ، عن توفية الغرض منه صادراً . ونقلتُ معاني كلام الشيخ ابي عبد الله ، بالفاظ موفية للمقاصد التي قصدها ، موضحة للمناحي التي اعتمدها ، وربما اوردت لفظه على وضعه ، فلم اخلّ باصله ولا فرعه ، واوردت جميع ما اورده من الحكايات والاخبار ، ولم اتعرّض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار . على انه سلك في اسناد صحاحها اقوم المسالك ، وخرج عن عهدة سائرها بما يُشعر من الالفاظ بذلك . وقيّدت المشكل من اسماء المواضع والرجال بالشكل والنقط ، ليكون انفع في التصحيح والضبط ، وشرحت ما امكنني شرحه من الاسماء العجمية لانها تلتبس بعُجمتها على الناس ، ويخطئ في فكّ معمّاها معهود القياس .

وانا ارجو ان يقع ما قصدته من المقام العلي أيّده الله بمحلّ القبول ، وابلغ ، من الاغضاء عن تقصيره ، المأمول ؛ فعوائدهم في السماح جميلة ، ومكارمهم بالصفح عن الهفوات كفيلة ، والله تعالى يُديم لهم عادة النصر والتمكين ، ويعرفهم عوارف التأييد والفتح المبين .

الفصل الاول

بلاد المغرب

مراكش — الجزائر — تونس — طرابلس الغرب

قال الشيخ ابو عبد الله :

كان خروجي من طنجة ، مسقط رأسي ، في اليوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد، عام خمسة وعشرين وسبعمائة(١)، معتمداً حجّ بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه افضل الصلاة والسلام ؛ منفرداً عن رفيق آنس بصحبته ، وركبٍ اكون في جملته ، لباعثٍ من النفس شديد العزايم، وشوقٍ الى تلك المعـاهد الشريفة كامن في الحيازم ؛ فجزمت امري على هجر الاناث من الاحباب والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور . وكان والديّ بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وَصباً ، ولقيت كما لقيا من الفراق نصباً ؛ وسني يومئذٍ ثنتان وعشرون سنة (٢ . وكان ارتحـالي في ايام امـير المؤمنين ، وناصر الدين ، المجاهد في سبيل ربّ العالمين ، الذي رويت اخبـار جوده موصولة الاسناد بالاسناد ، وشهرت آثار كرمه

---

١) ١٤ حزيران ١٣٢٥

٢) قال ابن جُزيّ : « اخبرني ابو عبدالله ، بمدينة غرناطة ، ان مولده بطنجة في اليوم الاثنين السابع عشر من رجب الفرد ، سنة ثلاث وسبعمائة » (٢٤ شباط ١٣٠٤)

شهرة واضحة الاشهاد، وتحلّت الايام بجلى فضله، ورتــع الانام في ظلّ رفقه وعــدله، الامام المقدس ابو سعيد ابن مولانا امير المؤمنين، وناصر الدين، الذي فلّ حدّ الشرك صدق عزائمه، واطفأت نارَ الكفر جداولُ صوارمه، وفتكت بعبّاد الصليب كتائبه، وكرمت في اخلاص الجهاد مذاهبه، الامام المقدّس ابو يوسف بن عبد الحقّ، جدّد الله عليهم رضوانه، وسقى ضرائحهم المقدّسة من صوب الحبـاء طلّه وتهتانه، وجزاهم افضل الجزاء عن الاسلام والمسلمين، وابقى الملك في عقبهم الى يوم الدين.

تِلِمْسان – التقاؤه بفقيهين

فوصلت مدينة تِلِمسان، وسلطانها يومئذٍ ابو تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان، ووافقت بها رسولَي ملك افريقية (١ السلطان بن يحيى، رحمه الله، وهما قاضي الأنكحة بمدينة تونس، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن علي بن ابراهيم النفزاوي، والشيخ الصالح ابو عبدالله محمد بن الحسين بن عبد الله القرشي الزُبيدي (بضم الزاي نسبة الى قرية بساحل المهدية) وهو احــد الفضلاء، وفاته عام اربعين (٢. وفي يوم وصولي الى تِلِمسان خرج عنها الرسولان المذكوران، فاشار عليّ بعض الاخــوان بمرافقتهما. فاستخرت الله تعالى في ذلك، واقمت بتِلِمْسان ثلاثاً في قضاء مأربي، وخرجت اجدُّ السير في آثارهما.

مليانة – موت القاضي

فوصلت مدينة مليانة وادركتهما بها وذلك في ابان القيظ. فلحق الفقيهين مرض اقمنا بسببه عشراً. ثم ارتحلنا وقد اشتدّ المرض بالقاضي منهما، فأقمنا

١) يعني تونس ٢) اي سبعمائة واربعين (١٣٣٩–١٣٤٠)

ببعض المياه ، على مسافة اربعة اميال من مليانة ثلاثاً . وقضى القاضي نحبه
ضحى اليوم الرابع . فعاد ابنه ابو الطيب ، ورفيقه ابو عبد الله الزُبيدي
الى مليانة فقبروه بها . وتركتهم هنـاك وارتحلت مع رفقة من تجار تونس
منهم : الحاج مسعود بن المنتصر ، والحاج العدولي ، ومحمد بن الحجر .

الجزائر — بجاية — اول ظلم — مرض ابن بطوطة

فوصلنا مدينة الجزائر ، واقمنا بخارجها اياماً الى ان قدم الشيخ ابو عبد
الله ، وابن القاضي ، فتوجّهنا جميعاً على متيجة الى جبل الزان . ثم وصلنا الى
مدينة بجاية ، فنزل الشيخ ابو عبد الله ، بدار قاضيها ، ابي عبدالله الزواوي
ونزل ابو الطيب ، ابن القـاضي ، بدار الفقيه ابي عبدالله المفسّر . وكان امير
بجاية ، اذ ذاك ، ابا عبد الله محمد بن سيد الناس الحاجب . وكان قد
توفي من تجار تونس الذين صحبتهم من مليانة ، محمد بن الحجر الذي تقدّم
ذكره ، وترك ثلاثة آلاف دينـار من الذهب ، واوصى بها لرجل من
اهـل الجزائر ، يُعرف بابن حديدة ، ليوصلها الى ورثته بتونس . فانتهى
خبره لابن سيد الناس المذكور ، فانتزعها من يده . وهذا اول ما شاهدته
من ظلم عمّال الموحّدين (١ وولاتهم .

ولما وصلنا الى بجاية كما ذكرت ، اصابتني الحمّى ، فاشار علي ابو
عبـد الله الزُبيدي بالاقامة فيها ، حتى يتمكّن البرء مني . فابيت وقلت :
« ان قضى الله ، عزّ وجلّ ، بالموت ، فتكون وفاتي بالطريق ، وانا قاصد
ارض الحجاز ! » فقال لي : « امـا ان عزمت ، فبع دابتك وثقل المتاع ،

---

١) الموحّدون : اسم دولة من امراء البربر حكمت كل افريقيا الشمالية ونصف اسبانيا تقريباً (١١٣٠ — ١٢٦٩) وكان بينهم وبـين المرينيين اصحاب مراكش مناوشات حتى فاز عليهم المرينيون وطردوهم سنة ١٢٦٩

وانا أعيرك دابة وخباء ، وتصحبنا خفيفاً . فانّنا نجدّ السير خوف غارة العرب في الطريق . » ففعلت هـذا ، واعارني ما وعد به ، جزاه الله خيراً . وكان ذلك اول ما ظهر لي من الالطاف الالهية في تلك الوجهة الحجازية .

قسنطينة – اول هبَة

وسرنا الى ان وصلنــا الى مدينة قُسنطينة ، فنزلنا خارجها . واصابنا مطر جود اضطرنا الى الخروج عن الاخبية ليــلًا الى دور هناك . فلما كان من الغد ، تلقّانا حاكم المدينة ، وهو من الشرفاء الفضلاء يسمّى بابي الحسن . فنظر الى ثيابي ، وقد لوّثها المطر ، فامر بغسلها في داره . وكان الاحرام(١ منها خلقاً ، فبعث مكانه إحراماً بعلبكيًا ، وصرّ في احد طرفيه دينارين من الذهب . فكان ذلك اول ما فتح به عليّ في وجهتي .

بونة

ورحلنا الى ان وصلنا مدينة بونة ، ونزلنا بداخلها ، واقمنا بها اياماً . ثم تركنا بها من كان في صحبتنا من التجار لاجل الخوف في الطريق ، وتجرّدنا للسير ، وواصلنا الجدّ . واصابتني حمّى ، فكنت اشدّ نفسي بعمامة فوق السرج ، خوف السقوط بسبب الضعف ، ولا يمكني النزول من الخوف .

تونس

الى ان وصلنــا مدينة تونس ، فبرز اهلها للقــاء الشيخ ابي عبد الله الزبيدي ، ولقاء ابي الطيب ابن القاضي ابي عبد الله النفزاوي . فاقبــل بعضهم على بعض بالسلام والسوأل . ولم يسلّم علي احد لعدم معرفتي بهم ، فوجدت من ذلك ، في النفس ، مــا لم أملك معه سوابق العبْرة ، واشتدّ

١) نوع من لباس الرأس كان يستعمله عرب الاندلس والمغرب

بكاني فشعر بحالي بعض الحجاج ، فاقبل عليّ بالسلام والايناس ، وما زال يؤنسني بحديثه ، حتى دخلت المدينة ونزلت منها بمدرسة الكتبيين .

ثم يذكر ابن بطوطة سلطان تونس وهو ابو يحيى بن ابي زكريا . . . بن ابي حفص (١ ويمدحه ويتكلم عن بعض علمائها . ثم يتكلم عن مروره ببلدة سوسة ، ومدينة صفاقس ، ومدينة قابس ، ومدينة طرابلس ، وتزوجه فيها ثم تركه زوجته واتخاذه اخرى ، وايلامه وليمة العرس . ثم خروجه مع الركب الى الاسكندرية .

الفصل الثاني

القطر المصري

الاسكندرية — ٥ نيسان ١٣٢٦

ثم وصلنا ، في اول جماد الاول (٢) الى مدينة الاسكندرية ، حرسها الله . وهي الثغر المحروس ، والقطر المأنوس ، العجيبة الشان ، الاصيلة البنيان . بها ما شئت من تحسين وتحصين ، ومآثر دنيا ودين ، كرمت مغانيها ، ولطفت معانيها ، وجمعت بين الضخامة والاحكام مبانيها . فهي الفريدة تجلّى سناها ، والخريدة تُجلّى في حُلاها ؛ الزاهية بجمالها المُغرب ،

---

١) هو من الامراء بني حفص ، وهي دولة اسسها سنة ١٢٢٨ ابو حفص قائد امير من الموحدين ، فكانوا في اول عهدهم عمّال تونس للموحدين ثم صاروا سلاطينها بعد سقوط هؤلاء (١٢٦٩) . واشهر امراء بني حفص المستنصر (١٢٤٩ — ١٢٧٧) وهو الذي قاوم القديس لويس ملك فرنسة .

٢) الموافق ٥ نيسان ١٣٢٦

الجـامعة لمفترق المحاسن لتوسّطها بين المشرق والمغرب . فكل بديعة بها اجتلاؤها ، وكل طرفة فاليها انهاؤها . وقد وصفها الناس فاطنبوا ، وصنّفوا في عجائبها فـاغربوا ، وحسب المُشرف الى ذلك ، ما سطّره ابو عبيد في « كتاب المسالك »(١ .

ذكر ابوابها ومرساها

ولمدينة الاسكندرية اربعة ابواب : باب السدرة ، واليه يشرع طريق المغرب . وباب رشيد . وباب البحر . والباب الاخضر ، وليس يفتح الّا يوم الجمعة ، فيخرج الناس منه الى زيارة القبور . ولها المرسى العظيم الشان ، ولم ارَ في مراسي الدنيا مثله ، الّا مـا كان من مرسى كولم ، وقاليقوط ، ببـلاد الهند ؛ ومرسى الكفّار (٢ بسوداق ببلاد الاتراك ؛ ومرسى الزيتون (٣ ، ببلاد الصين . وسيقع ذكرها .

ذكر المنار

قصدت المنـار في هذه الوجهة ، فرأيت احد جوانبـه متهدّماً . وصفته انه بناء مربع ، ذاهب في الهواء ، وبابـه مرتفع على الارض . وإزاء بابه بنـاء بقدر ارتفاعه ، وضعت بينهما الواح خشب يعبر عليها الى بابه ؛ فاذا أزيلت ، لم يكن له سبيل . وداخل الباب موضع لجلوس حارس

---

١) هو كتاب « المسالك والممالك » لابي عبيد البكري الاندلسي (١٠٤٠ — ١٠٩٤)

٢) المقصود بالكفّار : الجنويّون ؛ وبلاد الاتراك : بلاد القِرم

٣) هذه المدينة اسمها اليوم تسيّون — تسيو — فو

المنـــار ، وداخل المنار بيوت كثيرة. وعرض الممرّ بداخله تسعة اشبار ، وعرض الحائط عشرة اشبار؛ وعرض المنار من كل جهة من جهاته الاربع ، مائة واربعون شبراً . وهو على تلّ مرتفع . ومسافة ما بينه وبين المدينة فرسخ واحد ، في برّ مستطيل يحيط به البحر ، من ثلاث جهات ، الى ان يتّصل البحر بسور البـــلد ، فلا يمكن التوصّل الى المنار في البرّ ، الّا من المدينة . وفي هذا البرّ المتصل بالمنار ، مقبرة الاسكندرية .

وقصدت المنار عند عودي الى بلاد المغرب عام خمسين وسبعمائة (١) ، فوجدته قـد استولى عليه الخراب بحيث لا يمكن دخوله ، ولا الصعود الى بابه . وكان الملك الناصر ، رحمه الله ، قد شرع في بناء منار مثله بازائه ، فعاقه الموت عن اتمامه .

ذكر عمود السواري

ومن غرائب هذه المدينة ، عمود الرخام الهائل الذي بخارجها ، المسمّى عندهم بعمود السواري . وهو متوسط في غابة نخل . وقد امتاز عن شجراتها سموّاً وارتفاعاً ، وهو قطعة واحدة ، محكمة النحت ، قد أُقيمَ على قواعد حجارة مربّعة ، امثال الدكاكين (٢) العظيمة . ولا تُعرف كيفية وضعه

---

١) الموافق لسنة ١٣٤٩

٢) الدكاكين : جمع الدكّان وهو بناء يُسطّح اعلاه كالمصطبة ويجلس عليه . اما الدكّان ، بمعنى الحانوت ، فمعرّب عن الفارسية

هنالك، ولا يُتحقّق من وضعه (١ .

امير الاسكندرية

وكان امير الاسكندرية ، في عهد وصولي اليها ، يسمّى بصلاح الدين . وكان فيها ايضاً ، في ذلك العهد ، سلطان افريقية (٢ المخلوع ، وهو زكرياء ابو يحيي بن احمد بن ابي حفص (٣ ، المعروف باللحياني . وامر الملك الناصر بانزاله بدار السلطنة من اسكندرية ، واجرى له مائة درهم في كل يوم . وكان معه اولاده : عبد الواحد ، ومصري ، واسكندري ، وحاجبه ابو زكرياء بن يعقوب ، ووزيره ابو عبد الله بن ياسين . وبالاسكندرية توفي اللحياني المذكور ، وولده الاسكندري . وبقي المصري بها الى اليوم . وتحوّل عبد الواحد الى بلاد الاندلس ، والمغرب ، وافريقية ، وتوفي هنالك بجزيرة جربة .

---

١) قال ابن جُزَيّ : « اخبرني بعض اشياخي الرحّالين ' ان احد الرماة بالاسكندرية ' صعد الى اعلى ذلك العمود ' ومعه قوسه وكنانته واستقرّ هناك ' وشاع خبره ' فاجتمع الجمّ الغفير لمشاهدته ' وطال العجب منه ' وخفي عن الناس وجه احتياله . واظنّه كان خائفاً ' او طالب حاجة ' فانتج له فعله الوصول الى قصده ' لغرابة ما اتى به . وكيفية احتياله في صعوده انه رمى بنُشّابة قد عقد بفُوقها خيطاً طويلاً ' وعقد بطرف الخيط حبلاً وثيقاً . فتجاوزت النشّابة أعلى العمود ' معترضةً عليه ' ووقعت من الجهة الموازية للرامي . فصار الخيط معترضاً على اعلى العمود . فجذبه حتى توسّط الحبل على العمود ' مكان الخيط . فاوثقه من احدى الجهتين في الارض وتعلّق به صاعداً من الجهة الاخرى ' واستقرّ باعلاه ' وجذب الحبل ' واستصحب من احتمله . فلم يهتد الناس لحيلته وعجبوا من شأنه » .

٢) اي تونس — ٣) هو من امراء بني حفص (راجع ص: ١٣ الحاشية: ١)

ذكر بعض علماء الاسكندرية

وهنا ذكر الرحالة عدداً من علماء الاسكندرية وشيوخها ، مع حكايات وكرامات لبعضهم منها تنبؤهم له عن اسفاره والبلدان التي يزورها . ومن هؤلاء العلماء : عماد الدين الكندي الذي « كادت عمامته تملأ المحراب لعظمها » ، والشيخ خليفة ، وابو العباس المرسي ، وابو الحسن الشاذلي الشهير صاحب الصلاة المعروفة « بحزب البحر » .

ثم ترك الاسكندرية الى تَرُوجة ، فدمنهور ، ففوّا ، فنبة بني مُرشد حيث زار الشيخ المرشدي صاحب الكرامات ، ونام عنده

ومن هناك سار الى مدينة النَحْرارِيّة ، وقطع النيل الى أبيار وهي مدينة تصنع بها « ثياب حسان تعلو قيمتها بالشام والعراق ومصر وغيرها ، ومن الغريب قرب النحرارية منها والثياب التي تصنع بها غير معتبرة ولا مستحسنة عند اهلها » .

ومنها توجه الى مدينة « المحلّة الكبيرة » . وسار الى بلاد الصالحين ، بلاد برلُس ، ونَسترو . فنزل في مدينة ملطين ، وشاهد بحيرة تنّيس ونسترو ، وهنا خلط بين بحيرة برلُس (وهي بحيرة بوتيك القديمة) وبحيرة تنّيس (وهي بحيرة منزالة)

دمياط

ثم سافرت في ارض رملة الى مدينة دمياط . وهي مدينة فسيحة الاقطار ، متنوّعة الثمار ، عجيبة الترتيب ، آخذة من كل حسن بنصيب . . . (وهي) على شاطئ النيل ، واهل الدور الموالية له ، يستقون منه الماء بالدلاء ؛ وكثيرٌ من دورها بها دركات ينزل فيها الى النيل . وشجر الموز بها كثير يحمل ثمره الى مصر في المراكب . وغنمها سائمة هملًا بالليل والنهار . ولهذا يقال في دمياط : « سورها حُلوى ، وكلابها غنم ! » . واذا دخلها احد لم يكن له سبيل الى الخروج عنها ، الّا بطابع الوالي . فمَن

كان من النـــاس معتبرًا ، طُبع له في قطعة كاغد (١ يستظهر به لحرّاس بابها . وغيرهم يُطبع على ذراعه ، فيستظهر به .

والطير البحري ، في هذه المدينة ، كثير متناهي السمن . وبها الالبان الجـاموسية التي لا مثل لها في عذوبة الطعم ، وطيب المذاق . وبها الحوت البوري (٢، يُحمل منها الى الشام، وبلاد الروم (٣، ومصر .

وبخـــارجها جزيرة بين البحر والنيل ، تُسمّى البرزخ ، بها مسجدٌ وزاوية (٤ لقيت بها شيخها المعروف بابن قُفل ، وحضرت عنـــده ليلة جمعة ، ومعه جماعة من الفقراء (٥ الفضلاء المتعبّدين الاخيار ، قطعوا ليلتهم صلاةً وقراءةً وذكرًا .

ودمياط هذه حديثة البناء . والمدينة القديمة هي التي خربها الافرنج على عهد الملك الصالح (٦ .

---

١) كاغد : لفظة فارسية الاصل معناها القرطاس ، الورق

٢) الحوت : في الاصل السمك ، وهو المراد هنـا ، وقد غلب في الاستعمال على الكبير منه . البوري : نسبة الى بلدة بورة بمصر ، ضرب من السمك مستطيل ، اسطواني الشكل ، قويّ الزعانف ، واسع الفـلوس مستديرها ، يبلغ طوله السبعين سنتيمترًا . وهو يكثر في البحر المتوسط ويكون في المحيط الاتلنطيكي ويُعرف منه نحو السبعين نوعًا .

٣) اي آسيا الصغرى . — ٤) الزاوية : مقام الشيخ ؛ الجامع يكون فيه ملجأ الغرباء ؛ مدرسة يعلّم فيها الامام القرآن ، والفقه ، والنحو

٥) الفقراء : جمـع فقير وهو المتعبّد الذي يعيش من حسنات المؤمنين . واسم « الفقير » يُطلق في الهند على المتعبّدين النسّاك من جميع الاديان

٦) لقد وهم ابن بطوطة في قوله هذا فان الافرنج لم يخربوا مدينة دمياط . وهم لم يدخلوها الا مرتين سنة ١٢١٩ وسنة ١٢٤٩ . ولكنهم تركوها قائمة ، فخربها امراء مصر في منتصف تشرين الثاني ١٢٥٠ ، بعد خروج الافرنج منها بسنة ، خوفًا من ان يعودوا اليها

زاوية القرندرية

وبها زاوية الشيخ جمال الدين الساوي ، قدوة الطائفة المعروفة « بالقرندرية » ، وهم الذين يحلقون لحاهم ، وحواجبهم . ويسكن الزاوية في هذا العهد الشيخ فتح التكروري .

كرامة الشيخ جمال الدين الساوي

يُذكر انه لما قصد مدينة دمياط ، لزم مقبرتها . وكان بها قاضٍ يُعرف بابن العميد . فخرج يوماً الى جنازة بعض الاعيان ، فرأى الشيخ جمال الدين بالمقبرة ، فقال له : « انتَ المبتدع ؟ » فقال له : « وانت القاضي الجاهل ! تمرُّ بدابتك بين القبور ، وتعلم ان حرمة الانسان ميتاً ، كحرمته حياً ؟ » فقال له القاضي : « واعظم من ذلك حلقُك لحيتك ! » فقال له : « إياي تعني ؟ » وزعق الشيخ ثم رفع رأسه ، فاذا هو ذو لحية سوداء عظيمة . فعجب القاضي ومن معه ، ونزل اليه عن بغلته . ثم زعق ثانيةً ، فاذا هو ذو لحية بيضاء ، حسنة . ثم زعق ثالثة ، ورفع رأسه ، فاذا هو بلا لحية ، كهيئته الاولى . فقبَّل القاضي يده ، وتتلمذَ له ، وبنى له زاوية حسنة ، وصحبه ايام حياته . ثم مات الشيخ فدفن بزاويته ولما حضرت القاضي وفاته ، اوصى ان يدفن بباب الزاوية حتى يكون كل داخل الى زيارة الشيخ يطأ قبره .

مزار شطأ — المنية — والي دمياط

وبخارج دمياط المزار المعروف بشطأ ، وهو ظاهر البَرَكة ، يقصده هل الديار المصرية . وله ايام في السنة معلومة لذلك . وبخارجها ايضاً بين

بساتينها، موضع يُعرف بالمُنية، فيه شيخ من الفضلاء، يُعرف بابن النعمان، قصدت زاويته وبتُّ عنده.

وكان بدمياط ايام اقامتي بها والٍ يُعرف بالمحسني من ذوي الاحسان والفضل، بنى مدرسة على شاطئ النيل، بها كان نزولي في تلك الايام، وتأكدت بيني وبينه مودّة.

مدينة فارسكور

ثم سافرت الى مدينة فارسكور، وهي مدينة على ساحل النيل، ونزلت بخارجها. ولحقني هناك فارس وجّهه اليّ الامير المحسني فقال لي: «ان الامير سأل عنك، وعرف بسيرتك، فبعث اليك بهذه النفقة». ودفع الي جملة دراهم، جزاه الله خيراً.

مدينة أشمون الرمّان — مدينة سَمَنُّود

ثم سافرت الى مدينة اشمون الرمّان... نسبة الى الرمّان لكثرته بها، ومنها يُحمل الى مصر. وهي مدينة عتيقة كبيرة، على خليج من خلج النيل، ولها قنطرة خشب ترسو المراكب عندها. فاذا كان العصر رفعت تلك الخشب، وجازت المراكب صاعدة ومنحدرة. وبهذه البلدة قاضي القضاة، ووالي الولاة.

ثم سافرت عنها الى مدينة سَمَنُّود، وهي على شاطئ النيل، كثيرة المراكب، حسنة الاسواق، وبينها وبين المحلة الكبيرة ثلاثة فراسخ.

من سمنّود الى مصر

ومن هذه المدينة ركبت النيل مصعداً الى مصر، ما بين مدائن

وقرى منتظمة، متصل بعضها ببعض. ولا يفتقر راكب النيل الى استصحاب الزاد لانه مهما اراد النزول بالشاطئ نزل، للوضوء والصلاة، وشراء الزاد، وغير ذلك. والاسواق متصلة من مدينة الاسكندرية الى مصر، ومن مصر الى مدينة اسوان، من الصعيد.

مصر — وصفها

ثم وصلت الى مدينة مصر، أُم البلاد، وقرارة فرعون ذي الاوتاد(١)، ذات الاقاليم العريضة، والبلاد الاريضة، المتناهية في كثرة العمارة، المتباهية بالحسن والنضارة، مجمع الوارد والصادر، ومحطّ رحل الضعيف والقادر. وبها ما شئت من عالم وجاهل، وجادّ وهازل، وحليم وسفيه، ووضيع ونبيه، وشريف ومشروف، ومنكر ومعروف. تموج موج البحر بسكانها، وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها وامكانها. شبابها يجدّ على طول العهد، وكوكب تعديلها لا يبرح عن منزل السعد. قهرت قاهرتها الامم، وتملّكت ملوكها نواصي العرب والعجم. ولها خصوصية النيل التي جلّ خطرها، واغناها ان يستمدّ القَطرَ قُطرها. وارضها مسيرة شهر لمجدّ السير، كريمة التربة، مؤنسة لذوي الغربة.

ويقال ان بمصر من السقائين على الجمال، اثني عشر الف سقاء؟ وان

---

١) قرارة: مستقرّ، مقام؛ ذو الاوتاد: نعت ينعت به القرآن احد الفراعنة فيقول: «كذّبت قبلهم قوم نوح وعاد، وفرعون ذو الاوتاد» (سورة ص: ٣٨) و«فرعون ذي الاوتاد» (سورة الفجر: ٩) وذلك لان العرب كانوا يزعمون ان فرعون كان يربط الضحية من ضحايا ظلمه، الى اربعة اوتاد. فيكون اذن مخترع هذا النوع من العذاب.

فيها ثلاثين الف مكار ، وان بنيلها من المراكب ستة وثلاثين الفاً ، للسلطان والرعية ، تمر صاعدة الى الصعيد ، ومنحدرة الى الاسكندرية ودمياط ، بانواع الخيرات والمرافق . وعلى ضفة النيل مما يواجه مصر ، الموضع المعروف بالروضة ، وهو مكان النزهة والتفرّج . وبه البساتين الكثيرة الحسنة . واهل مصر ذوو طرب وسرور ولهو ، شاهدت بها مرّة فرجة ، بسبب برء الملك الناصر من كسر اصاب يده ، فزيّن كل اهل سوق سوقهم ، وعلّقوا بحوانيتهم الحلل والحلي وثياب الحرير ؛ وبقوا على ذلك اياماً .

ذكر مسجد عمرو بن العاص ، والمدارس والمارستان ، والزوايا

ومسجد عمرو بن العاص ، مسجد شريف كبير القدر ، شهير الذكر ، تُقام فيه الجمعة . والطريق يعترضه من شرق الى غرب . وبشرقه الزاوية حيث كان يدرس الامام ابو عبد الله الشافعي .

واما المدارس بمصر ، فلا يحيط احد بحصرها لكثرتها .

واما المارستان (١ الذي بين القصرين ، عند تربة الملك المنصور قلاوون ، فيعجز الواصف عن محاسنه . وقد اعدّ فيه من المرافق ، والادوية ما لا يُحصر . ويُذكر ان مجباه (٢ الف دينار كل يوم .

واما الزوايا فكثيرة ، وهم يسمّونها الخوانق (٣) ، واحدتها خانقة .

١) اي المستشفى

٢) مجباه : اي دخله

٣) الخوانق : وهي تقابل الاديار عند النصارى

والامراء في مصر يتنافسون في بناء الزوايا وكل زاوية بمصر معيّنة لطائفة من الفقراء[1] واكثرهم الاعاجم، وهم اهل أدب ومعرفة بطريقة التصوّف. ولكل زاوية شيخ وحارس وترتيب امورهم عجيب :

ومن عوائدهم في الطعام انه يأتي خديم الزاوية الى الفقراء صباحاً، فيعين له كل واحد ما يشتهيه من الطعام؛ فاذا اجتمعوا للأكل، جعلوا لكل انسان خبزه ومرقه، في اناء على حدة، لا يشاركهُ فيه احد. وطعامهم مرتان في النهار. ولهم كسوة الشتاء، وكسوة الصيف، ومرتّب شهري من ثلاثين درهماً للواحد في الشهر، الى عشرين. ولهم الحلاوة من السكر في كل ليلة جمعة، والصابون لغسل اثوابهم، والأجرة لدخول الحمّام، والزيت للاستصباح. وهم اعزاب. وللمتزوّجين زوايا على حدة. ومن المشترط عليهم حضور الصلوات الخمس، والمبيت بالزاوية، واجتماعهم بقبّة داخل الزاوية.

ويلي ذلك ذكر عوائدهم في الصلاة، وذكر قرافة مصر ومزاراتها منها تربة الامام محمد بن ادريس الشافعي.

ذكر نيل مصر

ونيل مصر يفضل انهار الارض عذوبة مذاق، واتساع قطر، وعظم منفعة. والمدن والقرى بضفتيه منتظمة، ليس في المعمور مثلها. ولا يعلم نهر يُزدرَع عليه ما يُزدرَع على النيل؛ وليس في الارض نهر يُسمّى بحراً غيره. قال الله تعالى: «فاذا خِفتِ عليه، فالقيه في اليمّ»[2] فسمّاه

---

١) الفقراء : (راجع ص: ١٨ حاشية: ٥)

٢) «وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه، فاذا خِفت عليها فالقيه في اليمّ» القرآن : سورة القصص : ٦)

يا وهو البحر...ويجرى النيل من الجنوب الى الشمال خلافاً لجميع الانهار.

ومن عجائبه ان ابتداء زيادته في شدّة الحرّ، عند نقص الانهار وجفوفها؛ وابتداء نقصه حين زيادة الانهر وفيضها؛ ونهر السند مثله في ذلك، وسيأتي ذكره. واول ابتداء زيادته في حزيران، وهو يونيه. فاذا بلغت زيادته ستة عشر ذراعاً، تمّ خراج السلطان، فان زاد ذراعاً كان الخصب في العام، والصلاح التام؛ فان بلغ ثمانية عشر ذراعاً، اضرّ بالضياع، واعقب الوباء. وان نقص ذراعاً عن ستة عشر، نقص خراج السلطان؛ وان نقص ذراعين استسقى الناس وكان الضرر الشديد.

والنيل احد انهار الدنيا الخمسة، وهي: النيل، والفرات، والدجلة، وسيحون، وجيحون. وتماثلها انهار خمسة ايضاً: نهر السند، ويسمى بنج آب (١؛ ونهر الهند، ويسمى الكنك (٢ واليه تحجّ الهنود، واذا حرقوا امواتهم رموا برمادهم فيه، ويقولون: هو من الجنة؛ ونهر الجون (٣ بالهند ايضاً؛ ونهر اتل (٤ بصحراء قفجق، وعلى ساحله مدينة السرا؛ ونهر السرو بارض الخطا، وعلى ضفته مدينة خان بالق، ومنها ينحدر الى مدينة الخنسا، ثم الى مدينة الزيتون، بارض الصين (٥ وسيذكر ذلك كله في

١) بنج آب: ومعناه الانهر الخمسة. — ٢) الكنك: هو نهر الغانج. — ٣) الجون: ويسمّى «جومنا». — ٤) اتل هو نهر فولغا — ٥) نهر السرو: هو النهر الاصفر؛ الخطا: الصين الشمالية؛ خان بالق: هي مدينة باكين؛ الخنسا: هي مدينة هانغ – تشيو – فو؛ الزيتون: هي مدينة تشيُون – تشيو – فو. ونلاحظ هنا ان ابن بطوطة ارتكب خطأً فادحاً لان مدينة الخنسا تقع على ضفة نهر كيانغ، على نحو مئتي فرسخ جنوبي خان بالق، او باكين، اما الزيتون، فانها على اكثر من ١٣٠ فرسخاً جنوبي الخنسا. على ان باكين متصلة بزيتون بواسطة قناة ماء.

مواضعه، ان شاء الله.

والنيل يفترق، بعد مسافة من مصر، على ثلاثة اقسام. ولا يعبر نهر منها الا في السفن شتاء وصيفاً. واهل كل بلد لهم خلجان تخرج من النيل، فاذا مدّ اترعها ففاضت على المزارع.

ذكر الاهرام والبرابي (١

وهي من العجائب المذكورة على مرّ الدهور. وللناس فيها كلام كثير وخوض في شأنها، واولية بنائها. ويزعمون ان جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت عن هرمس الاول، الساكن بصعيد مصر الاعلى، ويسمّى خنوخ وهو ادريس، (عم). وانه اول من تكلّم بالحركات الفلكية، والجواهر العلوية، واول من بنى الهياكل، ومجّد الله تعالى فيها. وانه انذر الناس بالطوفان، وخاف ذهاب العلم، ودروس الصنائع، فبنى الاهرام والبرابي، وصوّر فيها جميع الصنائع والآلات، ورسم العلوم فيها لتبقى مخلّدة. ويقال ان دار العلم والملك بمصر مدينة منوف، وهي على بريد من الفسطاط. فلما بنيت الاسكندرية، انتقل الناس اليها وصارت دار العلم والملك، الى ان اتى الاسلام، فاختطّ عمرو بن العاص، (رضه)، مدينة الفسطاط، فهي قاعدة مصر الى هذا العهد.

والاهرام بناء بالحجر الصلد المنحوت، متناهي السموّ، مستدير، متّسع الاسفل، ضيق الاعلى، كالشكل المخروط؛ ولا ابواب لها، ولا

(١) البرابي: لفظة من القبطي: « بيرفابي » او « بيرب » معناها: الهيكل او المعبد

تُعلم كيفية بنائها. ومما يذكر في شأنها ان ملكاً، من ملوك مصر قبل الطوفان، رأى رؤيا هالته، واوجبت عنده انه بنى تلك الأهرام بالجانب الغربي من النيل لتكون مستودعاً للعلوم ولجثة الملوك. وانه سأل المنجمين هل يُفتح منها موضع، فاخبروه انها تُفتح من الجانب الشمالي، وعيّنوا له الموضع الذي تُفتح منه، ومبلغ الإنفاق في فتحه. فامر ان يُجعل بذلك الموضع من المال قدر ما اخبروه انه ينفق في فتحه. واشتدّ في البناء، فاتمّه في ستّين سنة. وكتب عليها: «بنينا هذه الأهرام في ستين سنة، فليهدمها من يريد ذلك في ستمائة سنة، فان الهدم أيسر من البناء!» فلما افضت الخلافة الى امير المؤمنين المأمون، اراد هدمها؛ فاشار عليه بعض مشايخ مصر ان لا يفعل. فلجّ في ذلك وأمر ان تُفتح من الجانب الشمالي. فكانوا يوقدون عليها النار، ثم يرشّونها بالخلّ ويرمونها بالمنجنيق، حتى فتحت الثلمة التي بها الى اليوم. ووجدوا بازاء النقب مالاً، امر امير المؤمنين بوزنه، فحصر ما انفق في النقب، فوجدهما سواء، فطال عجبه من ذلك. ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعاً.

ويلي ذلك ذكر سلطان مصر، وهو الملك الناصر ابو الفتح محمد ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي، وبرّه الجزيل؛ وامراء مصر، وقضاتها، وبعض علمائها واعيانها منهم شمس الدين الاصبهاني «امام الدنيا في المعقولات». ثم يذكر رتبة المحمل. ويخرج ابن بطوطة من مصر فيمرّ بدير الطين، ومنية القائد، وبوش، ودلاص، المشهورتين بالكتان، وبيا، والبهنسا، حتى يصل الى

منية ابن خصيب

وهي مدينة كبيرة الساحة، متسعة المساحة، مبنية على شاطئ النيل، وحقٌ حقيق لها على بلاد الصعيد التفضيل: بها المدارس والمشاهد،

والزوايا والمساجد. وكانت في القديم منية لخصيب، عامل مصر.

حكاية خصيب

يُذكر ان احد الخلفاء من بني العبّاس، رضي الله عنهم، غضب على اهل مصر؛ فآلى ان يولّي عليهم احقر عبيده، واصغرهم شأناً قصداً لارذالهم، والتنكيل بهم. وكان خصيب احقرهم، اذ كان يتولّى تسخين الحمّام؛ فخلع عليه وأمّره على مصر، وظنّ انه يسير فيهم سيرةً سوء، ويقصدهم بالاذاية، حسبما هو المعهود ممن ولي عن غير عهد بالعزّ. فلما استقرّ خصيب بمصر، سار في اهلها احسن سيرة، وشُهر بالكرم والإيثار. فكان اقارب الخلفاء وسواهم يقصدونه، فيجزل العطاء لهم، ويعودون الى بغداد شاكرين لما اولاهم.

وان الخليفة افتقد بعض العبّاسيين، وغاب عنه مدة؛ ثم اتاه. فسأله عن مغيبه، فاخبره انه قصد خصيباً، وذكر له ما اعطاه خصيب؛ وكان عطاء جزيلاً. فغضب الخليفة وامر بسمل عيني خصيب، واخراجه من مصر لى بغداد، وان يُطرح في اسواقها. فلما ورد الامر بالقبض عليه، حيل ينه وبين دخوله منزله. وكانت بيده ياقوتة عظيمة الشأن، فخبّأها عنده، خاطها في ثوب له ليلاً. وسملت عيناه، وطرح في اسواق بغداد.

فمرّ به بعض الشعراء فقال له: «يا خصيب، اني كنت قصدتك ن بغداد الى مصر، مادحاً لك بقصيدة. فوافقت انصرافك عنها. وأحبّ ن تسمعها» فقال: «كيف بسماعها وانا على ما تراه؟» فقال: «انما قصدي سماعك لها. واما العطاء فقد اعطيتَ الناس، واجزلت، جزاك الله خيراً»

قال: «فافعل!» فانشده:

انت الخصيبُ، وهذه مصرُ   فتدفّقا، فكلاكما بحرُ!

فلما اتى على آخرها، قال له: «افتق هذه الخياطة». ففعل ذلك فقال له: «خذ الياقوتة». فأبى. فاقسم عليه ان يأخذها. فأخذها وذهب بها الى سوق الجوهريين. فلما عرضها عليهم قالوا له: «ان هذه لا تصلح الّا للخليفة» فرفعوا امرها الى الخليفة. فامر الخليفة باحضار الشاعر، واستفهمه عن شأن الياقوتة، فاخبره بخبرها. فتأسف على ما فعله بخصيب، وامر بتوله بين يديه، واجزل له العطاء، وحكّمه فيما يريد. فرغب ان يعطيه هذه المنية، ففعل ذلك. وسكنها خصيب الى ان توفي، واورثها عقبه الى ان انقرضوا.

وسافر من منية ابن خصيب الى منلَوي وهي «احدى عشرة معصرة للسكر، ومن عوائدهم انهم لا يمنعون فقيرًا من دخول معصرة منها. فيأتي الفقير بالخبزة الحارة فيطرحها في القدر التي يطبخ السكر فيها، ثم يخرجها وقد امتلأت سكرًا فينصرف بها». ومنها الى منفلوط، فالى اسيوط، فالى

إخميم

وهي مدينة عظيمة اصيلة البنيان، عجيبة الشأن. بها البربي المعروف باسمها، وهو مبني بالحجارة، في داخله نقوش وكتابة للاوائل لا تُفهم في هذا العهد، وصور الافلاك والكواكب. ويزعمون انها بنيت والنسر الطائر ببرج العقرب وبها صور الحيوانات وسواها. وعند الناس في هذه الصور اكاذيب لا يُعرَّج عليها.

ثم زار مدينة هُو ، فدينة قنا ، فدينة قُوص ، فالأقصُر ، فأرمَنْت ، فأسْنا ، فأدفُو ، فالعطواني . ومنها اكترى الجمال للسفر الى عيذاب

في الصحراء

وسافرنا مع طائفة من العرب تُعرف بدغيم ، في صحراء لا عمارة بها ؛ الا انها آمنة السبل . وفي بعض منازلها نزلنا حميثرا ، حيث قبر ولي الله ابي الحسن الشاذلي . . . وارضها كثيرة الضباع . ولم نزل ليلة مبيتنا بها نحارب الضباع . ولقد قصدت رحلي ضبع منها ، فمزّقت عدلاً كان به ، واجترّت منـه جراب تمر وذهبت به . فوجدناه لما اصبحنا ، ممزّقاً مأكولاً معظم ما كان فيه .

عيذاب

ثم لمـا سرنا خمسة عشر يوماً وصلنا الى مـدينة عيذاب . وهي مدينة كبيرة ، كثيرة الحوت ، واللبن . و يُحمل اليها الزرع والتمر من صعيد مصر . واهلها البُجاة ، وهم سود الالوان يلتحفون ملاحف صفراً ، ويشدّون على رؤوسهم عصائب يكون عرض العصابـة منها اصبعاً . وهم لا يورثون البنات . وطعامهم البان الابل . ويركبون المهارى ويسمّونها الصُّهب . وثلث المدينة للملك الناصر وثلثاها لملك البُجاة ، وهو يُعرف بالحَدْربي . . .

تعذّر السفر بحراً

ولمـا وصلنا الى عيذاب ، وجدنا الحَدْربي ، سلطان البُجاة ، يحارب الاتراك (١) ، وقد خرق المراكب ، وهرب الترك امامه . فتعذّر سفرنا في البحر . فبعنا ما كنّا اعددناه من الزاد ، وعُدنا مع العرب الذين اكترينا الجمال منهم الى صعيد مصر .

(١) اي المماليك

الفصل الثالث

السفر الى بلاد الشام

فلسطين — لبنان — سوريا

ترك ابن بطوطة مصر قاصداً بلاد الشام في اواسط شعبان ٧٢٦ (١٣٢٦) فمر ببلبيس، والصالحية، والسوادة، والورّادة، والمطيلب، والعريش، والخروبة، الى أن وصل الى بلدة على الحدود تدعى

قَطْيا

وبها تؤخذ الزكاة من التجار، وتفتّش امتعتهم، ويبحث عمّا لديهم اشدّ البحث. وفيها الدواوين، والعمّال، والكتّاب، والشهود. ومجباها في كل يوم الف دينار من الذهب. فلا يجوز عليها احد الى الشام الا ببراءة من مصر، ولا الى مصر الا ببراءة من الشام، احتياطاً على اموال الناس، وتوقياً من الجواسيس العراقيين. وطريقها في ضمان العرب قد وكلوا بحفظه. فاذا كان الليل، مسحوا على الرمل لا يبقى به اثر. ثم يأتي الامير صباحاً، فينظر الى الرمل، فان وجد به اثراً، طلب العرب باحضار موثّره. فيذهبون في طلبه فلا يفوتهم فيأتون به الامير، فيعاقبه بما شاء.

ثم سار الى غزّة ، فمدينة الخليل حيث شاهد قبور ابراهيم ، واسحق ، ويعقوب ، وازواجهم . وشاهد بحيرة لوط وقبره ، وقبر فاطمة بنت الحسين بن علي . ومرّ على تربة يونس ، الى ان وصل الى

بيت لحم

موضع ميلاد عيسى ، عليه السلام ، وبه اثر جذع النخلة ، وعليه عمارة كثيرة . والنصارى يعظّمونه اشدّ التعظيم ويضيفون من نزل به .

بيت المقدس

ثم وصلنا الى بيت المقدس شرّفه الله . . . والبلدة كبيرة ، منيفة ، مبنية بالصخر المنحوت . وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن ايوب ، جزاه الله عن الاسلام خيراً ، لما فتح هذه المدينة هدم بعض اسوارها . ثم استنقض الملك الظاهر هدمه ، خوفاً ان يقصدها الروم فيمتنعوا بها . ولم يكن بهذه المدينة نهر فيما تقدّم ، وجلب لها الماء في هذا العهد ، الامير سيف الدين تنكيز ، امير دمشق .

ذكر المسجد الاقصى

وهو من المساجد العجيبة ، الرائقة ، الفائقة الحسن . يقال انه ليس على وجه الارض مسجد اكبر منه ، وان طوله من شرق الى غرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذراعاً بالذراع المالكية (١) وعرضه من القبلة الى الجوف اربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً . وله ابواب كثيرة في جهاته الثلاث .

---

١) الذراع المالكية : طولها ٣٢ اصبعاً

واما الجهة القبلية فلا اعلم بها الّا باباً واحداً ، وهو الذي يدخل منه الامام . والمسجد كله فضاء غير مسقّف ، الّا المسجد الاقصى فهو مسقّف في النهاية من احكام العمل ، واتقان الصنعة ، مموّه بالذهب ، والاصبغة الرائقة . وفي المسجد مواضع سواه مسقّفة .

ذكر قبة الصخرة

وهي من اعجب المباني ، واتقنها ، واغربها شكلاً . قد توفّر حظّها من المحاسن ، واخذت من كل بديعة بطرف . وهي قائمة على نشز (١ في وسط المسجد ، يصعد اليه في درج رخام . ولها اربعة ابواب ، والدائر بها مفروش بالرخام ايضاً ، محكم الصنعة ، وكذلك داخلها . وفي ظاهرها وباطنها من انواع الزواقة ، ورائق الصنعة ، ما يُعجز الواصف . واكثر ذلك مغشّى بالذهب ، فهي تتلألأ نوراً ، وتلمع لمعان البرق ؛ يحار بصر متأملها في محاسنها ، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها . وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار . فان النبي (صلعم) عرّج منها الى السماء . وهي صخرة صمّاء ، ارتفاعها نحو قامة . وتحتها مغارة ، في مقدار بيت صغير ، ارتفاعها نحو قامة ايضاً يُنزل اليها على درج ، وهناك شكل محراب . وعلى الصخرة شباكان اثنان ، محكما العمل ، يغلقان عليها : احدهما ، وهو الذي يلي الصخرة ، من حديد بديع الصنعة ، والثاني من خشب .
وفي القبة درقة كبيرة من حديد ، معلّقة هنالك . والناس يزعمون انها درقة حمزه بن عبد المطلب (رضه) .

---

١) نشز : مرتفع

ذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف

يذكر منها البنية التي صعد منها المسيح الى السماء ، والكنيسة التي فيها قبر مريم ، وكنيسة قبر المسيح . ثم ينتقل الى ذكر بعض فضلاء القدس

ثم رحل الى عسقلان ، فمدينة الرملة التي تُدعى فلسطين ، فمدينة نابلس ، ويذكر محصولاتها من الزيتون والزيت وحلواء الخروب ، فعجلون ، فالغور حيث قبر ابي عبيدة بن الجرّاح ، فالقُصير .

عكة

ثم سافرت على الساحل فوصلت الى مدينة عكة وهي خراب . وكانت عكة قاعدة بلاد الافرنج بالشام ، ومرسى سفنهم ، وتشبه قسطنطينية العظمى . وبشرقيها عين ماء تُعرف بعين البقر ، يقال ان الله تعالى اخرج منها البقرة لآدم ، عليه السلام ، وينزل اليها في درج ، وكان عليها مسجد بقي منه محرابه . وبهذه المدينة قبر صالح ، عليه السلام .

صور

ثم سافرت منها الى مدينة صور وهي خراب . وبخارجها قرية معمورة ، اكثر اهلها ارفاض . ولقد نزلت بها مرّة على بعض المياه اريد الوضوء ، اتى بعض اهل تلك القرية ليتوضأ ؛ فبدأ بغسل رجليه ، ثم غسل وجهه ، لم يتمضمض ولا استنشق . ثم مسح بعض رأسه . فأخذت عليه في فعله قال لي : « ان البناء انما يكون ابتداؤه من الاساس »

ومدينة صور هي التي يُضرب بها المثل في الحصانة والمنعة . لان البحر محيط بها من ثلاث جهاتها ، ولها بابان : احدهما للبرّ ، والثاني للبحر ؛ ولبابها

الذي يُشرع للبرّ اربعة قُفْلان كلها في ستائر محيطة بالباب. واما الباب الذي للبحر فهو بين برجين عظيمين، وبناؤها ليس في بلاد الدنيا، اعجب ولا اغرب شأناً منـه. لان البحر محيط بها من ثلاث جهاتها، وعلى الجهة الرابعة، سور تدخل السفن تحت السور، وترسو هنـالك. وكان، فيا تقدّم، بين البرجين سلسلة حديدمعترضة، لا سبيل الى الداخل هنالك ولا الى الخارج الّا بعد حطها. وكان عليها الحرّاس والامناء، فلا يدخل داخل ولا يخرج خارج، الّا على علم منهم. وكان لعكة ايضاً مينـاء مثلها، ولكنها لم تكن تحمل الا السفن الصغار.

صيدا

ثم سافرت منها الى مدينـة صيدا. وهي على ساحل البحر، حسنة، كثيرة الفواكه، يُحمل منها التين، والزبيب، والزيت الى بـلاد مصر. نزلت عند قاضيها، كمال الدين الاشموني المصري، وهو حسن الاخلاق، كريم النفس.

طبرية – الحامات – قبور الانبياء

ثم سافرت منها الى مدينـة طبرية. وكانت فيا مضى مدينـة كبيرة ضخمة. ولم يبقَ بها الا رسوم تُنبئ على ضخامتها، وعظم شأنها. وبها الحمّامات العجيبة، لهـا بيتان: احدهما للرجال، والثاني للنسـاء، وماؤها شديد الحرارة. ولها البحيرة الشهيرة طولها نحو ستة فراسخ، وعرضها ازيد من ثلاثة فراسخ.

وبطبرية مسجد يُعرف بمسجد الانبياء فيه قبر شعيب، عليه السلام،

وبنته زوج موسى الكليم؛ عليه السلام، وقبر سليمان، عليه السلام؛ وقبر يهودا، وقبر روبيل، صلوات الله وسلامه على نبيّنا وعليهم.

وقصدنا منها الجبّ الذي أُلقي فيه يوسف، عليه السلام؛ وهو في صحن مسجد صغير، وعليه زاوية. والجبّ كبير عميق، شربنا من مائه المجتمع من ماء المطر. وأخبرنا قيّمه ان الماء ينبع منه ايضاً.

بيروت — كرك نوح

ثم سرنا الى مدينة بيروت. وهي صغيرة، حسنة الاسواق؛ وجامعها بديع الحسن. وتُجلب منها الى ديار مصر، الفواكه والحديد.

وقصدنا منها زيارة قبر ابي يعقوب يوسف، الذي يزعمون انه من ملوك المغرب. وهو بموضع يُعرف بكرك نوح من بقاع العزيز، وعليه زاوية يُطعم بها الوارد والصادر. ويقال ان السلطان صلاح الدين وقف عليها الاوقاف؛ وقيل السلطان نور الدين، وكان من الصالحين، ويُذكر انه كان ينسج الحصر ويقتات بثمنها.

طرابلس

ثم وصلت الى مدينة اطرابلس. وهي احدى قواعد الشام، وبلدانها الضخام. تخترقها الانهار، وتحفّها البساتين والاشجار. ويكنفها البحر بمرافقه العميمة، والبرّ بخيراته المقيمة. ولها الاسواق العجيبة، والمسارح الخصيبة. والبحر على ميلين منها. وهي حديثة البناء. واما طرابلس القديمة فكانت على ضفة البحر، وتملّكها الروم زماناً. فلما استرجعها الملك الظاهر، خربت، واتخذت هذه الحديثة.

وبهذه المدينـــة نحو اربعين من أمراء الاتراك . واميرها طيلان (١ الحـــاجب ، المعروف بملك الامراء ، ومسكنه منها بالدار المعروفة بدار السعادة . ومن عوائده انه يركب في كل يوم اثنين وخميس ، ويركب معه الامراء والعساكر . ويخرج الى ظاهر المدينة . فاذا عاد اليها وقارب الوصول الى منزله ، ترجّل الامراء ، ونزلوا عن دوابّهم ، ومشوا بين يديه حتى يدخل منزله ؛ وينصرفون . وتُضرب الطَّبْلخانة (٢ عند دار كل امير منهم ، بعد صلاة المغرب من كل يوم ؛ وتوقد المشاعل . . .

وبهذه المدينـــة حمّامات حسان منها : حمّام القــاضي القرمي ، وحمّام سندمور .

وكان سندمور امير هذه المدينة . ويذكر عنه اخبار كثيرة في الشدّة على اهل الجنايات منها : ان امرأة شكت اليه بان احد مماليكه الخواصّ تعدى عليها ، في لبن كانت تبيعه ، فشربه . ولم تكن لها بيّنة ، فامر به فوُسّط (٣ ، فخرج اللبن من مصرانه . وقــد اتفق مثل هــذه الحكاية للعتريس ، احد امراء الملك الناصر ، ايام امارته على عيذاب . واتفق مثلها للملك كبك سلطان تركستان (٤ .

حصن الاكراد

ثم سافرت من طرابلس الى حصن الاكراد وهو بلدٌ صغير ، كثير الاشجار والانهار ، باعلى تلّ .

---

١) ويسمّيه بعضهم : طينال

٢) الطَّبْلخانة : الموسيقى العسكرية

٣) اي ضُرب في وسطه

٤) وروي مثلها كثير عن امراء الشرق والغرب

حمص

ثم سافرت الى مدينة حمص . وهي مدينة مليحة ، ارجاؤها مونقة ، واشجارها مورقة ، وانهارها متدفقة ، واسواقها فسيحة الشوارع ، وجامعها متميّز بالحسن الجامع ، وفي وسطه بركة ماء . واهل حمص عرب لهم فضل وكرم .

حماة

ثم سافرت منها الى مدينة حماة ، احدى امهات الشام الرفيعة ، ومدائنها البديعة ، ذات الحسن الرائق ، والجمال الفائق . تحفّها البساتين والجنّات ، عليها النواعير كالافلاك الدائرات . يشقّها النهر العظيم المسمّى بالعاصي . ولها ربض سُمّي بالمنصورية ، اعظم من المدينة ؛ فيه الاسواق الحافلة ، والحمّامات الحسان . وبحماة الفواكه الكثيرة . ومنها المشمش اللوزي اذا كسرت نواته وجدت في داخلها لوزة حلوة .

معرّة النعمان — سرمين

ثم سافرت الى مدينة المعرّة التي يُنسب اليها الشاعر ابو العلاء المعرّي ، وكثير سواه من الشعراء . (وهي) مدينة صغيرة حسنة ، اكثر شجرها التين والفستق . ومنها يُحمل الى مصر والشام .

ثم سرنا منها الى مدينة سرمين . وهي حسنة كثيرة البساتين ، واكثر شجرها الزيتون . وبها يُصنع الصابون الآجرّي ، ويُجلب الى مصر والشام . ويُصنع بها ايضاً الصابون المطيّب لغسل الايدي ، ويصبغونه بالحمرة والصفرة ويُصنع بها ثياب حسان تُنسب اليها .

وأهلها سبأيون (١)، يبغضون «العشرة» (٢). ومن العجب انهم لا يذكرون لفظ «العشرة»، وينادي سماسرتهم بالاسواق على السِلَع، فاذا بلغوا الى العشرة قالوا: «تسعة وواحداً»... وبها مسجد جامع فيه تسع قباب، ولم يجعلوها عشرة قياماً بمذهبهم القبيح.

حلب

ثم سرنا الى مدينة حلب، المدينة الكبرى، والقاعدة العظمى. قال ابو الحسين بن جُبير، في وصفها:

« قدرها خطير، وذكرها في كل مكان يطير، خطّابها من الملوك كثير، ومحلّها من النفوس أثير. فكم هاجت من كفاح، وسُلّ عليها من بيض الصفاح. لها قلعة شهيرة الامتناع، بائنة الارتفاع،... تنزّهت حصانةً ان تُرام او تُستطاع... منحوتة الارجاء، موضوعة على نسبة اعتدال واستواء... قد طاولت الايام والاعوام، وشيّعت الخواصّ والعوامّ... اين امراؤها الحمدانيون وشعراؤها، فني جميعهم ولم يبقَ الا بناؤها. فياعجبا للبلاد تبقى وتذهب املاكُها، ويهلكون ولا يُقضى هلاكُها، وتُخطب بعدهم فلا يتعذّر إملاكها، وتُرام فيتيسّر باهون شيء ادراكها. هذه حلب، كم ادخلت من ملوكها في خبر كان، ونسخت صَرفَ الزمان بالمكان. أُنِّثَ اسمها فتحلّت بحلية الغوان، ودانت بالغدر فيمن دان، وتجلّت عروساً بعد سيف دولتها ابن حمدان. هيهات سيهرم شبابها، ويُعدم خطّابها، ويُسرع فيها بعد حين خرابها» (٣).

وقلعة حلب تُسمّى الشهباء، وبداخلها جُبّان ينبع منهما الماء، فلا تخاف الظماء. ويطيف بها سوران، وعليها خندق عظيم ينبع منه الماء

١) اي كثيرو الشتم، محاوُون

٢) هم اصحاب محمد العشرة الاولون

٣) رحلة ابن جُبير — de Goeje — ليدن ١٩٠٧ — ص: ٢٥٠ — ٢٥١

وسورهـا متداني الابراج ، وقد انتظمت بها العـلالي العجيبة ، المفتّحة الطيقان ، وكل برج بها مسكون . والطعام لا يتغيّر بهذه القلعة على طول العهد وبها مشهد يقصده بعض النـاس ، يُقال ان الخليل عليه السلام ، كان يتعبّد به . وهـذه القلعة تشبه قلعة رحبة مالك بن طوق ، التي على الفرات بين الشام والعراق .

ولما قصد قازان ، طاغية التتر ، مدينة حلب ، حاصر هذه القلعة اياماً ، ونـكص عنها خائباً .

ويقال في مدينة حلب : « حلب ابراهيم . » لان الخليل ، صلوات الله على نبيّنا وعليه وسلامه ، كان يسـكنها . وكانت له الغنم الـكثيرة ، فـكان يسقي الفقراء والمساكين ، والوارد والصادر من البانها . فكانوا يجتمعون وسألون : « حلب ابراهيم » فسمّيت بذلك . وهي من اعز البـلاد التي لا نظير لها في حسن الوضع ، واتقان الترتيب ، واتساع الاسواق ، وانتظام بعضها ببعض . واسواقها مسقّفة بالخشب ، فـأهلها دائماً في ظلٍّ ممدود . وقيساريّتها لا تُماثل حسناً وكِبَرًا ، وهي تحيط بمسجدها وكل سماط منها محاذٍ لبابٍ من ابواب المسجد ومسجدها الجامع من اجمل المساجد ، وفي صحنه بركة ماء ، ويطيف به بلاط عظيم الاتساع . ومنبرها بديع العمل ، مرصّع بالعاج والابنوس . وبقرب جامعها مدرسة مناسبة له في حسن الوضع ، واتقـان الصنعة ، تُنسب لامراء بـني حمدان (١ . وبالبلد سواها ثلاث مدارس ، وبها مارستان .

---

١) هم امراء عربيّو الاصل حكموا مقاطعة حلب وما بين النهرين في العصر العبّاسي الثالث من سنة ٩٢٩ الى سنة ١٠٠٣ . واشهرهم سيف الدولة (٩٤٤ — ٩٦٦) ممدوح المتنبي

واما خارج المدينة فهو بسيط، افيح عريض، به المزارع العظيمة وشجرات الاعناب منتظمة به، والبساتين على شاطئ نهرها، وهو النهر الذي يمرُّ بحماة، ويسمّى العاصي (١. وقيل انه سمي بذلك لانه يخيّل لناظره ان جريانه من اسفل الى علوّ. والنفس تجد في خارج مدينة حلب انشراحاً وسروراً ونشاطاً لا يكون في سواها. وهي من المدن التي تصلح للخلافة.

ثم يمرُّ بمدينة تيزين الى انطاكية:

انطاكية

هي مدينة عظيمة اصلية. وكان عليها سور محكم لا نظير له في اسوار بلاد الشام. فلما فتحها الملك الظاهر هدم سورها. وانطاكية كثيرة العمارة، ودورها حسنة البناء، كثيرة الاشجار والمياه. وبخارجها نهر العاصي.

وبها قبر حبيب النجار (رضه) وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر. وشيخها الصالح المعمّر محمد بن علي، سنه ينيف على المائة، وهو ممتّع بقوّته، دخلت عليه مرّة في بستان له وقد جمع حطباً ورفعه على كاهله ليأتي به منزله بالمدينة. ورأيت ابنه قد أناف على الثمانين، الا انه محدودب الظهر، لا يستطيع النهوض. ومن يراهما يظن الوالد منهما ولداً، والولد والداً.

وسافر من هناك الى حصون بُغْراس، والقُصَير، والشُّغْر، فمدينة صهيون، فحصون القَدْموس، والمينَقَة، والعلَّيقة، ومصياف، والكهف

---

١) هذا خطأ ظاهر لان العاصي لا يمرُّ في حلب. إنما مر هذه المدينة فاسمه القويق

فهرس

انتهى الجزء الاول ويليه الجزء الثاني



ابن بطوطة

تحفة النظار

في غرائب الامصار، وعجائب الاسفار

درس ومنتخبات

بقلم

فؤاد افرام البستاني

استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف



الجزء الثاني

المطبعة الكاثوليكية

بيروت

١٩٢٧

ابن بطوطة ور

وُلد ابو عبد الله محمد المعروف بابن بطوطة في طَنْجة سنة ١٣٠٤ . ولم يبلغ الثانية والعشرين من عمره حتى دفع به عامل التقوى الى الحجّ ، فقصد مكة سنة ١٣٢٥ . غير ان حبّه للاسفار ساقه الى مختلف البلاد : فقام برحلة اولى زار بها افريقيا الشمالية، فسوريا ، فجزيرة العرب ، فافريقيا الشرقيــة ، فآسيا الصغرى ، فروسيا الجنوبية ، فالقسطنطينية ، فالسند والهند والصين . ورجع الى مراكش سنة ١٣٤٩ .

ولم يلبث ان قــام برحلة ثانية الى بلاد الاندلس . فثالثة الى بــلاد السودان فزار تنبكتو ، وتكدّا ، وهكار .

ثم عــاد الى فاس فاكرمه سلطانها ، وامره ان يملي رحلته على احــد كتّابه محمد بن جُزَيّ . فقام بذلك وسمّى الكتاب « تحفة النظّار ، في غرائب الامصار ، وعجائب الاسفار » .

وتوفي ابن بطوطة سنة ١٣٧٧ ولا شكّ في ان قيمته كبيرة جــدًّا بسبب سعة البــلدان التي جال فيها ، والمعلومات العديــدة التي ذكرها عن مختلف الشعوب . وقد اطلنا البحث في حياته ، وصدقه ، وامانته في مقدّمة الجزء الاول من الرحلة ، فلتراجع .

وتركنــاه في الجزء الاول المذكور ، في حصون الاسماعيلية ، بعد ان زار مراكش ، وتونس ، والجزائر ، والقطر المصري ، وفلسطين ، والقسم الكبير من سوريا . وها هو يتكلّم الان عن طائفة الاسماعيلية الغريبة :

تحفة النظار

في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

الرحلة الاولى

تابع

٢

الاسماعيليّة

وهذه الحصون لطائفة يقال لهم: « الاسماعيليّة» ويقال لهم: «الفداوية» ولا يدخل عليهم احد من غيرهم. وهم سهام الملك الناصر، بهم يصيب من بَعُد عنه من اعدائه بالعراق وغيرها. ولهم المرتّبات. واذا اراد السلطان ان يبعث احدهم الى اغتيال عدوّ له، اعطاه دِيَته. فان سلم بعد تأتّي ما يُراد منـه، فهي له؛ وان أُصيب، فهي لوُلده. ولهم سكاكين مسمومة يضربون بها من بُعثوا الى قتله. وربما لم تصحّ حيلهم فقُتلوا. كما جرى لهم مع الامير قراسنقور، فانه لما هرب الى العراق بعث اليه الملك الناصر جملة منهم. فقُتلوا ولم يقدروا عليه لاخذه بالحزم.

اللاذقية

ثم سافرت الى مدينة اللاذقية . وهي مدينة عتيقة على ساحل البحر ، يزعمون انها مدينة الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً (١ . وكنت انما قصدتها لزيارة الوليّ الصالح ، عبد المحسن الاسكندري . فلما وصلتها وجدته غائباً بالحجاز الشريف .

وبخارج اللاذقية الدير المعروف بدير الفاروص . وهو اعظم دير بالشام ، ومصر . يسكنه الرهبان ، ويقصده النصارى من الآفاق . وكل من نزل به من المسلمين ، فالنصارى يضيفونه . وطعامهم الخبز والجبن والزيتون والخلّ والكَبَر (٢ .

وميناء هذه المدينة عليها سلسلة بين بُرجين ، لا يدخلها احد ولا يخرج حتى تُحط له السلسلة . وهي من احسن المراسي بالشام .

ثم سافر الى حصن المرقب ، فجبل الاقرع

جبل لبنان

وسافرت منه الى جبل لبنان ، وهو من اخصب جبال الدنيا . فيه اصناف الفواكه ، وعيون الماء ، والظلال الوافرة . ولا يخلو من المنقطعين الى الله تعالى ، والزُهّاد والصالحين . وهو شهير بذلك . ورأيت به جماعة من الصالحين قد انقطعوا الى الله تعالى ، ممن لم يشتهر اسمه .

---

١) اشارة الى ما ورد في القرآن : « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً » (سورة الكهف : ٧٨)

٢) الكَبَر : شجر الأصف وتسمّيه العامّة بالكبّار والقبّار ، تؤخذ ازهاره وتُكبس في الخلّ

حكاية

اخبرني بعض الصالحين الذي لقيتهم به قـال : « كنّا بهذا الجبل مع جماعة من الفقراء ، ايام البرد الشديد ، فاوقدنا ناراً عظيمة واحدقنا بها. فقال بعض الحـاضرين : «يصلح لهذه النار ما يُشوى فيها ! » فقال احد الفقراء ممّن تزدريه الاعـين ، ولا يؤبه به : « اني كنت عند صلاة العصر بمتعبَّد ابراهيم بن أدهم ، فرأيت بقربة منه حمار وحش قد احدق الثلج به من كل جانب . واظنّه لا يقدر على الحراك ، فلو ذهبتم اليه لقدرتم عليه ، وشويتم لحمه في هذه النار » قال : « فقمنا اليه في خمسة رجال فالفيناه كما وُصف الينا . فقبضناه واتينا به اصحابنا ، فذبحناه واشوينا لحمه في تلك النار . وطلبنا الفقير الذي نبّه عليه ، فلم نجده ولا وقعنا له على أثر . فطال عجبنا منه » .

بعلبك — الزبداني

ثم وصلنا من جبـل لبنان الى مدينة بعلبك - وهي حسنة قديمة من اطيب مدن الشام تحدق بها البساتين الشريفة ، والجنّات المنيفة . وتخترق ارضها الانهار الجارية ، وتضاهي دمشق في خيراتها المتناهية . وبها من حَبّ الملوك (١ ما ليس في سواها . وبها يصنع الدبس المنسوب اليها ، وهو نوع من الربّ يصنعونه من العِنَب ، ولهم تربة يضعونها فيه فيجمد ، وتُكسر القُلّة التي يكون بها فيبقى قطعة واحدة ، وتُصنع منه الحلواء ، ويُجعل

---

١) حبّ الملوك : نوع من الكرز

فيها الفستق واللوز، ويسمّون حلواءه « بالملبن »، ويسمّونها ايضاً « بجلد الفرس ». وهي كثيرة الالبان وتجلب منها الى دمشق، وبينهما مسيرة يوم للمجدّ. واما الرفاق فيخرجون من بعلبك فيبيتون في بلدة صغيرة تُعرف بالزبداني، كثيرة الفواكه، ويغدون منها الى دمشق.

ويصنع ببعلبك الثياب المنسوبة اليها من الإحرام وغيره. ويصنع بها اواني الخشب وملاعقه التي لا نظير لها في البلاد. وهم يسمّون الصحاف بالدسوت. وربما صنعوا الصحفة، وصنعوا صحفة اخرى تسع في جوفها الى ان يبلغوا العشرة، يخيّل لرائيها انها صحفة واحدة وكذلك الملاعق، يصنعون منها عشرة، واحدة في جوف واحدة. ويصنعون لها غشاء من جلد، ويمسكها الرجل في حزامه. واذا حضر عشاء مع اصحابه، اخرج ذلك، فيظنّ رائيه انها ملعقة واحدة، ثم يخرج من جوفها تسعاً.

وكان دخولي لبعلبك عشية النهار وخرجت منها بالغدوّ لفرط اشتياقي الى دمشق.

دمشق

ووصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظّم عام ستة وعشرين (١ الى مدينة دمشق الشام فنزلت منها بمدرسة المالكيّة، المعروفة بالشرابشيّة. ودمشق هي التي تفضل جميع البلاد حسناً، وتتقدّمها جمالاً، وكل وصف وان طال فهو قاصرٌ عن محاسنها.

ثم يذكر وصف الرحّالة ابن جُبير لدمشق، ويزيد ابن جُزَيّ فيورد اقوال بعض الشعراء والادباء، الى ان يقول ابن بطوطة :

---

١) اي سنة ٧٢٦ (١٣٢٦)

واهل دمشق لا يعملون يوم السبت عملاً. انما يخرجون الى المتنزهات وشطوط الانهار، ودوحات الاشجار، بين البساتين النضرة، والمياه الجارية، فيكونون بها يومهم الى الليل .

ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بني امية

وهو اعظم مساجد الدنيا احتفالاً ، واتقنها صناعةً، وابدعها حسناً وبهجةً وكمالاً . ولا يُعلم له نظير ولا يوجد له شبيه . وكان الذي تولى بناءه واتقانه، امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان، ووجّه الى ملك الروم بقسطنطينية يأمره ان يبعث اليه الصنّاع، فبعث اليه اثني عشر الف صانع. وكان موضع المسجد كنيسة. فلما افتتح المسلمون دمشق، دخل خالد بن الوليد (رضه) من احدى جهاتها بالسيف، فانتهى الى نصف الكنيسة . ودخل ابو عبيدة بن الجراح (رضه) من الجهة الغربية صلحاً فانتهى الى نصف الكنيسة . فصنع المسلمون من نصف الكنيسة الذي دخلوه عنوةً مسجداً ، وبقي النصف الذي صالحوا عليه كنيسة . فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة في المسجد ،طلب من الروم ان يبيعوا منه كنيستهم تلك بما شاؤوا من عوض، فابوا عليه ؛ فانتزعها من ايديهم . . .

وزُيّن هذا المسجد بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء تخالطها انواع الاصبغة الغريبة الحسن . وذرع المسجد في الطول من الشرق الى الغرب مائتا خطوة، وهي ثلاثمائة ذراع . وعرضه من القبلة الى الجوف مائة وخمس وثلاثون خطوة، وهي مائتا ذراع (١. وعدد شمسات الزجاج الملوّنة التي

١) والاصح مائتا ذراع وذراعان وصف

فيه اربع وسبعون. وبلاطاته ثلاثة مستطيلة من شرق الى غرب، سعة كل بلاط منها ثمان عشر خطوة، وقد قامت على اربع وخمسين سارية، وثماني ارجل جصّية، تتخللها؛ وستة ارجل مرخّمة مرصّعة بالرخام الملوّن، قد صوّر فيها اشكال محاريب وسواها وهي تقلّ قبة الرصاص التي امام المحراب، المسمّاة بقبة النسر، كأنهم شبهوا المسجد نسراً طائراً والقبة رأسه. وهي من اعجب مباني الدنيا ومن اي جهة استقبلت المدينة بدت لك قبة النسر، ذاهبةً في الهواء، منيفة على جميع مباني البلد. وتستدير بالصحن بلاطات ثلاثة من جهاته الشرقية، والغربية، والجوفية، سعة كل بلاط منها عشر خطاء. وبها من السواري ثلاث وثلاثون، ومن الارجل اربع عشرة. وسعة الصحن مائة ذراع وهو من اجمل المناظر واتمها حسناً.

وفي هذا الصحن ثلاث من القباب: احداها في غربيه وهي اكبرها، وتسمّى قبة عائشة، ام المؤمنين. وهي قائمة على ثمان سواري من الرخام، مزخرفة بالفصوص والاصبغة الملوّنة، مسقّفة بالرصاص. يقال ان مال الجامع كان يختزن بها. وذُكر لي ان فوائد مستغلّات الجامع ومجابيه نحو خمسة وعشرين الف دينار ذهباً في كل سنة. والقبة الثانية من شرقي الصحن على هيئة الاخرى الا انها اصغر منها، قائمة على ثمان من سواري الرخام، وتسمّى قبة زين العابدين. والقبة الثالثة في وسط الصحن، وهي صغيرة مثمّنة، من رخام عجيب، محكم الالصاق، قائمة على اربع سواري من الرخام الناصع. وتحتها شباك حديد في وسط انبوب نحاس يمجّ الماء الى علوّ، فيرتفع ثم ينثني كأنه قضيب لُجين، وهم يسمّونه «قفص الماء». ويستحسن الناس وضع افواههم فيه للشرب...

ويلي ذلك ذكر ما حول المسجد وذكر الائمة، وقضاة دمشق ومدارس المذاهب الاربعة فيها. ثم يذكر بعض ابوابها كباب الفراديس، وباب الجابية، والصغير. ويبسط الكلام في مزاراتها، ومشاهدها، وارباضها التي تدور بالمدينة من جهاتها ما عدا الشرقية واهمها ربض الصالحية «وهي مدينة عظيمة لها سوق لا نظير لحسنه» ويتكلم عن جبل قاسيون ومشاهده المباركة، والربوة، والقرى التي تواليها الى ان يصل الى وصف اهل دمشق، فيثني على اخلاقهم الطيبة ويشكر لهم اعمالهم واوقافهم العديدة في سبيل الخير: كالاوقاف لتجهيز البنات الفقيرات، وفكاك الاسرى، واعانة ابناء السبيل، وتعديل الطرق. ويذكر الحكاية التالية شاهداً على ذلك:

حكاية

مررت يوماً ببعض ازقة دمشق، فرأيت به مملوكاً صغيراً قد سقطت من يده صحفة من الفخار الصيني، وهم يسمّونها «الصحن»، فتكسّرت، واجتمع عليه الناس. فقال له بعضهم: «اجمع شقفها، واحملها معك لصاحب اوقاف الاواني» فجمعها وذهب الرجل معه اليه فاراه اياها. فدفع له ما اشترى به مثل ذلك الصحن. وهذا من احسن الاعمال فان سيد الغلام لابدّ له ان يضربه على كسر الصحن، او ينهره. وهو ايضاً ينكسر قلبه ويتغيّر لاجل ذلك. فكان هذا الوقف جبراً للقلوب، جزى الله خيراً من تسامت همّته في الخير الى مثل هذا.

مرضهُ – ضيافة دمشقي

ولما وردت دمشق، وقعت بيني وبين نور الدين السخاوي، مدرّس المالكية، صحبة. فرغب مني ان افطر عنده في ليالي رمضان. فحضرت عنده اربع ليالي. ثم اصابتني الحمّى، فغبت عنه، فذهب في طلبي. فاعتذرت بالمرض، فلم يسعني عذراً. فرجعت اليه، وبتّ عنده. فلما اردت

الانصراف بالغد منعني من ذلك، وقال لي : « احسب داري كانها دارك او دار ابيك اواخيك » وامر باحضار طبيب ، وان يُصنع لي بداره كل ما يشير به الطبيب من دواء او غذاء . واقمت كذلك عنده الى يوم العيد ، وحضرت المصلّى وشفاني الله تعالى مما اصابني . وقد كان ما عندي من النفقة نفد ، فعلم بذلك فاكترى لي جمالاً واعطاني الزاد وسواه ، وزادني دراهم وقال لي : « تكون لما عسى ان يعزّ لك من امر مهم » جزاه الله خيراً .

الفصل الرابع

البلاد العربية

الحجاز — العراق

خرج ابن بطوطة من دمشق في اول ايلول ١٣٢٦ قاصداً بلاد الحجاز فمرّ بالكَشوة — الصنَّمين — زُرعة — بُصرى — بركة زيزة — حصن الكرك — معان — ثم دخل الصحراء « التي يقال فيها : داخلها مفقود ، وخارجها مولود » . فنزل مع الركب في ذات الحج ثم ساروا الى وادي بلدح ، تَبوك ، بئر الحجر ، العُلا ، وادي العطاس — هدية — الى ان دخلوا المدينة ، فوقفوا بباب السلام واخذوا بالصلاة .

ويذكر ابن بطوطة المسجد في المدينة فيقول :

المسجد المعظّم مستطيل ، تحفّه من جهاته الاربع بلاطات دائرة به .

ووسطه صحن مفروش بالحصى والرمل ؛ ويدور بالمسجد الشريف، شارع مبلّط بالحجر المنحوت . والروضة المقدّسة (١)، صلوات الله وسلامه على ساكنها، في الجهة القبلية مما يلي الشرق من المسجد الكريم . وشكلها عجيب لا يتأتى تمثيله . وهي مدوّرة بالرخام البديع النحت، الرائق النعت، قد علاها تضميخ المسك والطيب مع طول الازمان . وفي الصفحة القبلية منها، مسمار فضّة هو قبالة الوجه الكريم . وهناك يقف الناس للسلام مستقبلين الوجه الكريم، مستدبرين القبلة، فيسلّمون وينصرفون يميناً الى وجه ابي بكر الصديق، ورأس ابي بكر (رضه) عند قدمي رسول الله (صلعم) . ثم ينصرفون الى عمر بن الخطاب، ورأس عمر عند كتفي ابي بكر (رضه) . وفي الجوفي من الروضة المقدّسة، زادها الله طيباً، حوض صغير، مرخّم، في قبلته شكل محراب يقال انه كان بيت فاطمة بنت الرسول (صلعم) ويقال ايضاً هو قبرها، والله اعلم .

وبعد ان يذكر كيفية بناء المسجد والمنبر ويذكر خطيبه وامامه ويورد بعض الحكايات عن مشاهد المدينة ومزاراتها والمجاورين بها يترك المدينة الى مكة فيمرّ بمسجد ذي الحُلَيْفة — الروحاء — الصفراء — بدر — صحراء قاع البزواء — وادي رابغ — خُلَيص — عقبة السويق — بركة خُلَيص — عُسفان — بطن مَرّ — مكة

فوصلنا عند الصباح الى البلد الامين، مكة شرّفها الله تعالى . فوردنا منها على حَرَم الله تعالى، ومُبوّأ خليله ابراهيم، ومبعث صفيه محمد (صلعم) . ودخلنا البيت الحرام الشريف، الذي من دخله كان آمناً، من باب بني

---

١) اي قبر محمد

شيبة، وشاهدنا الكعبة الشريفة، زادها الله تعظيماً، وهي كالعروس تجلى على منصّة الجلال، وترفل في برود الجمال، محفوظة بوفود الرحمان، موصلة الى جنة الرضوان. وطفنا بها طواف القدوم، واستلمنا الحجر الكريم، وصلّينا ركعتين بمقام ابراهيم. وتعلّقنا باستار الكعبة عند الملتزم، بين الباب والحجر الاسود، حيث يُستجاب الدعاء. وشربنا من ماء زمزم وهو لما شُرب، له حسبما ورد عن النبي (صلعم). ثم سعينا بين الصفا والمروة، ونزلنا هنالك بدار بمقربة من باب ابراهيم.

والحمد لله الذي شرّفنا بالوفادة على هذا البيت الكريم، وجعلنا ممن بلغته دعوة الخليل عليه الصلاة والتسليم، ومتّع اعيننا بمشاهدة الكعبة الشريفة والمسجد العظيم، والحجر الكريم، وزمزم والحطيم...

ويلي ذلك بحث واسع في مكة وما فيها من البنايات والمزارات والاولياء وعوائد اهلها في مختلف مظاهر اتهم الدينية. ثم يترك مكة راجعاً في ركب عظيم فيمر بالمدينة ويتابع سفره وجهة العراق فينزل القادسية ثم مدينة

مشهد علي

فنزلنا مدينة مشهد علي بن ابي طالب (رضه) بالنجف. وهي مدينة حسنة في ارض فسيحة، صلبة، من احسن مدن العراق، واكثرها ناساً، وأتقنها بناء. ولها اسواق حسنة نظيفة. دخلناها من باب الحضرة فاستقبلنا سوق البقّالين، والطبّاخين، والخبّازين، ثم سوق الفاكهة، ثم سوق الخيّاطين، والقيسارية، ثم سوق العطّارين، ثم باب الحضرة، حيث القبر الذي يزعمون انه قبر علي، عليه السلام. وبازائه المدارس، والزوايا، والخوانق، معمورة احسن عمارة وحيطانها بالقاشاني، وهو شبه الزليج عندنا، لكن لونه اشرق، ونقشه احسن.

وبعد ان زار ابن بطوطة قبر علي رحل قاصدًا البصرة فمرّ بالخوَرْنَق، موضع سُكنى النعمان بن المنذر، فبلائم الواثق الى ان وصل مدينة واسط، وبظاهرها، في قرية ام عبيدة، حضر رقص الفقراء فقال منهم:

ثم اخذوا في السماع، وقد اعدوا احمالاً من الحطب، فأجّجوها نارًا ودخلوا في وسطها يرقصون. ومنهم من يتمرّغ فيها، ومنهم من يأكلها بفمه، حتى اطفأوها جميعاً. وهذا دأبهم. وهذه الطائفة الاحمدية مخصوصون بهذا، وفيهم من يأخذ الحيّة العظيمة، فيعض باسنانه على رأسها حتى يقطعه.

مدينة البصرة

فنزلنا بها رباطَ (١ مالك بن دينار. وكنت رأيت عند قدومي عليها، على نحو ميلين منها، بناء عالياً مثل الحصن. فسألت عنه فقيل لي: « هو مسجد علي بن ابي طالب» (رضه). وكانت البصرة من اتساع الخطّة، وانفساح الساحة، بحيث كان هذا المسجد في وسطها. وبينه الان وبينها ميلان، وكذلك بينه وبين السور الاول، المحيط بها، نحو ذلك، فهو متوسّط بينهما. ومدينة البصرة احدى امهات العراق... ذات البساتين الكثيرة، والفواكه الاثيرة، توفر قِسمها من النضارة والخصب، لما كانت مجمع البحرين: الأجاج والعذب. وليس في الدنيا اكثر نخلا منها، فيباع التمر في سوقها بحساب اربعة عشر رطلًا عراقيّة بدرهم، ودرهمهم ثلث النُقرة (٢. ولقد بعث اليّ قاضيها، حُجّة الدين، بقوصرة

---

١) رباط : اي نَزَل
٢) النُقرة : قطعة من نقود فضيّة

تمر، يحملها الرجل على تكلّف، فـاردت بيعها، فبيعت بتسعة دراهم، اخذ الحمال منها ثلثها عن اجرة حملها من المنزل الى السوق. ويصنع بها من التمر عسل يُسمّى السيلان، وهو طيّب كأنه الجُلّاب.

والبصرة ثلاث محلّات : احداها محلّة هُذَيل. . . والمحلّة الثانية محلّة بني حرام. . . والمحلّة الثـالثة محلّة العجم. . . واهل البصرة لهم مكارم اخلاق، وايناس للغريب، وقيام بحقّه فلا يستوحش فيما بينهم غريب. وهم يصلّون الجمعة في مسجد امـير المؤمنين علي (رضه) الذي ذكرته، ثم يُسدّ فلا يأتونه الا في الجمعة. وهذا المسجد من احسن المساجد، وصحنه متناهي الانفساح، مفروش بالحصباء التي يؤتى بها من وادي السباع. وفيه المصحف الكريم الذي كان عثمان (رضه) يقرأ فيه لما قُتل، وأثر تغيير الدم في الورقة التي فيها قوله تعالى : « فسيكفيكم الله وهو السميع العليم » (١.

حكاية اعتبار

شهدت مرّةً بهذا المسجد، صلاة الجمعة. فلما قام الخطيب به الى الخطبة وسردها، لحن فيها لحناً كثيراً جليّاً. فعجبت من امره، وذكرت ذلك للقاضي حُجّة الدين. فقال لي : « ان هذا البلد لم يبقَ به من يعرف شيئاً من علم النحو. » وهذه عبرة لمن تفكّر فيها، سبحان مغيّر الاشياء، ومقلّب الامور! هـذه البصرة التي الى اهلها انتهت رئاسة النحو، وفيها اصله وفرعه، ومن اهلها امامه، الذي لا ينكر سبقه، لا يُقيم خطيبها خطبة الجمعة، على دَوبه عليها.

---

١) القرآن : سورة البقرة : ١٣١

الصومعة التي تتحرّك

ولهذا المسجد سبع صوامع إحداها الصومعة (١ التي تتحرّك، بزعمهم، عند ذكر علي بن ابي طالب (رضه). صعدت اليها من اعلى سطح المسجد، ومعي بعض اهل البصرة. فوجدت في ركن من اركانها مقبض خشب، مسمّراً فيها كأنه مقبض ملمسة البناء، فجعل الرجل، الذي كان معي، يده في ذلك المقبض وقال: « بحقّ رأس امير المؤمنين علي (رضه) تحرّكي » وهزّ المقبض، فتحرّكت الصومعة. فجعلت انا يدي في المقبض وقلت له: « وأنا اقول بحق رأس ابي بكر خليفة رسول الله (صلعم) تحرّكي » وهززت المقبض، فتحرّكت الصومعة. فعجبوا من ذلك. واهل البصرة على مذهب السنّة والجماعة ولا يخاف من يفعل مثل فعلي عندهم...

الفصل الخامس

بلاد فارس

ترك ابن بطوطة البصرة الى فارس فمرَّ بالأُبلّة، فعبَّادان، فاحول على ساحل الخليج، فرامز، فتستر، « وهي آخر البسيط من بلاد أتابك، واول الجبال » فإيذَج « وهي حضرة السلطان اتابك»

ذكر ملك إيذَج وتَستر

وملك إيــذج في عهد دخولي اليها السلطان أتابك افراسياب ابن

١) اي المآذنة

السلطان أتابك احمد . و« أتابك » عندهم سمة لكل من يلي هذه البلاد من ملك . وتُسمّى هذه البلاد ، بلاد اللور . وولي هذا السلطان بعد اخيه أتابك يوسف . وولي يوسف بعد ابيه أتابك احمد . وكان احمد المذكور ملكاً صالحاً سمعت من الثقاة ببلاده انه عمّر اربعمائة وستين زاوية ببلاده منها بحضرة إيذج اربع واربعون . وقسّم خراج بلاده أثلاثاً : فالثلث منه لنفقة الزوايا والمدارس ، والثلث منه لمرتّب العساكر ، والثلث لنفقته ونفقة عياله ، وعبيده وخدّامه . ويبعث منه هدية لملك العراق في كل سنة . وربما وفد عليه بنفسه .

وشاهدت من آثاره الصالحة ببلاده ان اكثرها في جبال شامخة . وقد نُحتت الطرق في الصخور والحجارة ، وسوّيت ووسّعت بحيث تصعدها الدوابّ باحمالها . وطول هذه الجبال مسيرة سبعة عشر في عرض عشرة . وهي شاهقة متصل بعضها ببعض ، تشقّها الانهار ، وشجرها البلّوط . وهم يصنعون من دقيقه الخبز . وفي كل منزل من منازلها زاوية يسمّونها المدرسة. فاذا وصل المسافر الى مدرسة منها ، أُتي بما يكفيه من الطعام والعلف لدابته سواء طلب ذلك او لم يطلبه . فان عادتهم ان يأتي خادم المدرسة فيعدّ من نزل بها من الناس ، ويعطي كل واحد منهم قُرصين من الخبز ، ولحماً ، وحلواء . وكل ذلك من اوقاف السلطان عليها . وكان السلطان أتابك احمد زاهداً صالحاً ، كما ذكرناه ، يلبس تحت ثيابه ، مما يلي جسده ، ثوب شعر .

موت ابن السلطان

ثم يذكر ان السلطان افراسياب كثير الادمان للخمرة لا يخرج الا يوم الجمعة . ويذكر انه كان له ولد مريض فمات .

ولما كان من الغد دخل عليّ شيخ الزاوية واهل البلد، وقالوا : « ان كبراء المدينة من القضاة، والفقهاء، والاشراف، والامراء قد ذهبوا الى دار السلطان للعزاء. فينبغي لك ان تذهب في جملتهم. فـابيت عن ذلك. فعزموا عليّ، فلم يكن لي بدّ من المسير. فسرت معهم، فوجدت مِشوَر (١ دار السلطان ممتلئاً رجالاً وصبياناً من المماليك، وابناء الملوك، والوزراء والاجناد، وقد لبسوا التلاليس (٢، وجلال الدوابّ، وجعلوا فوق رؤوسهم التراب والتبن، وبعضهم قد جزّ ناصيته، وانقسموا فرقتين : فرقة باعلى المشوَر، وفرقة باسفله. وتزحف كل فرقة الى جهة الاخرى، وهم ضاربون بايديهم على صدورهم، قائلون : « خوند كارِما » ومعناها : « مولاي انا ». فرأيت من ذلك امراً هائلاً، ومنظراً فظيعاً لم اعهد مثله.

حكاية

ومن غريب ما اتفق لي يومئذٍ اني دخلت فرأيت القضاة والخطباء والشرفاء قد استندوا الى حيطان المشوَر، وهو غاصٌّ بهم من جميع جهاته؛ وهم بين باكٍ ومتباكٍ ومُطرق. وقد لبسوا فوق ثيابهم ثياباً خامة، من غليظ القطن، غير محكمة الخياطة، بطائنها الى اعلى ووجوهها مما يلي اجسادهم. وعلى رأس كل واحد منهم قطعة خِرقة او مئزر اسود. وهكذا يكون فعلهم الى تمام اربعين يوماً، وهي نهاية الحزن عندهم.

---

١) مِشوَر : محل الاجتماع للشورى

٢) التلاليس : نوع من اللباد السميك

وبعدها يبعث السلطان لكل من فعل ذلك كسوةً كاملة . فلما رأيت جهات المشوَر غاصّةً بالناس نظرت يميناً وشمالاً ارتاد موضعاً لجلوسي ، فرأيت هنالك سقيفة مرتفعة عن الارض بمقدار شبر ، وفي احدى زواياها رجل منفرد عن الناس ، قاعد ، عليه ثوب صوف من اللبد يلبسه بتلك البلاد ضعفاء الناس ايام المطر والثلج ، وفي الاسفار . فتقدمت الى حيث الرجل ، وانقطع عني اصحابي ، لما رأوا اقدامي نحوه ، وعجبوا مني ، وانا لا علم لي بشيء من حاله . فصعدت السقيفة وسلّمت على الرجل ، فردّ عليّ السلام ، وارتفع عن الارض كأنه يريد القيام ، وهم يسمّون ذلك نصف القيام . وقعدت في الركن المقابل له . ثم نظرت الى الناس وقد رموني بابصارهم جميعاً . فعجبت منهم ، ورأيت الفقهاء والمشايخ والاشراف مستندين الى الحائط تحت السقيفة . واشار اليّ احد القضاة ان انحطّ الى جانبه ، فلم افعل . وحينئذٍ استشعرت انه السلطان فلما كان بعد ساعة اتى شيخ المشايخ ، نور الدين الكرماني ، فصعد الى السقيفة ، وسلّم على الرجل فقام اليه ، وجلس فيما بيني وبينه . فحينئذٍ علمت ان الرجل هو السلطان .

ثم جيءَ بالجنازة ، وهي بين اشجار الاترج ، والليمون ، والنارنج ، وقد ملأوا اغصانها بثمارها ، والاشجار بايدي الرجال فكأن الجنازة تمشي في بستان ، والمشاعل في رماح طوال بين يديها والشمع كذلك . فصُلّي عليها ، وذهب الناس معها الى مدفن الملوك ، وهو بموضع يقال له : «هلاَفيحان» على اربعة اميال من المدينة . . . ولم استطع ان اذهب معهم لبُعد الموضع .

زيارة السلطان

فلما كان بعد ايام بعث السلطان رسوله يدعوني اليه ، فذهبت معه الى باب يُعرف بباب السرو. وصعدنا في درج كثيرة الى ان انتهينا الى موضع لا فرش به لاجل ما هم فيه من الحزن، والسلطان جالس فوق مخدة ، وبين يديه آنيتان قد غُطيتا ، احداهما من الذهب ، والاخرى من الفضة. وكانت بالمجلس سجّادة خضراء ، ففُرشت لي بالقرب منه ، وقعدت عليها. وليس بالمجلس الا حاجبه الفقيه محمود ، ونديم له لا اعرف اسمه. فسألني عن حالي وبلادي ، وسألني عن الملك الناصر ، وبلاد الحجاز ، فاجبته عن ذلك.

ثم جاء فقيه كبير هو رئيس فقهاء تلك البلاد ، فقال لي السلطان : « هـذا مولانا فضيل. » والفقيه ببلاد الاعاجم كلها انما يخاطب بمولانا وبذلك يدعوه السلطان وسواه؛ ثم اخذ في الثناء على الفقيه المذكور. وظهر لي ان السكر غالب عليه ، وكنت قد عرفت ادمانه على الخمر. ثم قال لي باللسان العربي ، وكان يحسنه : « تكلّم ». فقلت له : « ان كنت تسمع مني ، اقول لك انت من اولاد السلطان أتابك احمد المشهور بالصلاح والزهـد. وليس فيك ما يقدح في سلطنتك غير هذا » واشرت الى الآنيتين. فخجل من كلامي وسكت. واردت الانصراف ، فامرني بالجلوس وقال لي : « الاجتماع مع امثالك رحمة » ثم رأيته يتمايل ، ويريد النوم ، فانصرفت.

وكنت تركت نعلي بالباب ، فلم اجده. فنزل الفقيه محمود في طلبه ، وصعد الفقيه فضيل يطلبه في داخل المجلس ، فوجده في طاق هنالك ، فاتى

اليَّ به . فأخجلني برّه واعتذرت اليه . فقبّل نعلي حينئذٍ ووضعه على رأسه، وقــال لي: « بارك الله فيك ! هذا الذي قلته لسلطاننا، لا يقدر احد ان يقوله له غيرك . والله اني لارجو ان يؤثّر ذلك فيه ! »

ثم رحل عن بلاد إيذج الى أُشتركان' فألى فيروزان حتى وصل الى مدينة اصفهان

ومدينة اصفهان من كبار المدن وحسانها . الا انها الآن قد خرب اكثرها بسبب الفتنة التي بها بين اهل السنة والروافض؛ وهي متصلة بينهم حتى الان، فــلا يزالون في قتــال . وبها الفواكه الكثيرة، ومنها المشمش الذي لا نظير له، يسمّونه بقمر الدين، وهم ييبّسونه ويدّخرونه ، ونواه ينكسر عن لوز حلو . ومنها السفرجل الذي لا مثل له في طيب المطعم وعظم الجِرم؛ والاعناب الطيبة، والبطيخ العجيب الشان، الذي ليس في الدنيا مثله، الا ما كان من بطيخ بُخارى وخوارزم، وقشره اخضر وداخله احمر، ويُدّخر كما تدّخر الشريحة بالمغرب، وله حلاوة شديدة . ومن لم يكن الف اكله فانه في اول امره يُسْهله، وكذلك اتفق لي لمــا اكلته باصفهان .

واهل اصفهان حسان الصور، والوانهم بيض زاهرة مشوبة بالحمرة . والغالب عليهم الشجاعة والنجدة، وفيهم كرم وتنافس عظيم فيما بينهم في الاطعمة، تؤثر عنهم فيه اخبار غريبة .

وسار من اصفهان الى كليل وهي بلدة يكثر فيها التفاح' فصرماء ' فيَزْدُخاص' وفيها يُصنع الجبن الطيب ' فمايين وفيها حوز كثير.

شيراز

ثم سافرنا منها الى مدينة شيراز. وهي مدينة اصلية البناء، فسيحة الارجاء، شهيرة الذكر، منيفة القدر، لها البساتين المونقة، والانهار المتدفقة، والاسواق البديعة، والشوارع الرفيعة. وهي كثيرة العمارة، متقنة المباني، عجيبة الترتيب. واهل كل صناعة في سوقها، لا يخالطهم غيرهم.

واهلها حسان الصور، نظاف الملابس. وليس في المشرق بلدة تداني مدينة دمشق في حسن اسواقها وبساتينها، وانهارها، وحسن صور ساكنيها الا شيراز. وهي في بسيط من الارض تحف بها البساتين من جميع الجهات. وتشقها خمسة انهار احدها النهر المعروف «بركن آباد» وهو عذب الماء شديد البرودة في الصيف، سخن في الشتاء؛ فينبعث من عين في سفح جبل هنالك يسمّى القليعة.

ومسجدها الاعظم يسمّى بالمسجد العتيق، وهو من اكبر المساجد ساحة، واحسنها بناء. وصحنه متّسع مفروش بالمرمر؛ ويغسل في اوان الحرّ كل ليلة. ويجتمع فيه كبار اهل المدينة كل عشية، ويصلّون به المغرب والعشاء. وشماله باب يُعرف «بباب حسن» يفضي الى سوق الفاكهة. وهي من ابدع الاسواق، وانا اقول بتفضيلها على سوق «باب البريد» من دمشق.

واهل شيراز اهل صلاح ودين وعفاف. وخصوصاً نساؤها، وهنّ يلبسن الخفاف، ويخرجن متلحفات، متبرقعات؛ فلا يظهر منهنّ شيء. ولهنّ الصدقات والايثار. ومن غريب حالهنّ انهنّ يجتمعن لسماع الواعظ

كل يوم اثنـين، وخميس، وجمعة بالجامع الاعظم؛ فربما اجتمع منهنّ الالف والالفان، بايديهنّ المراوح يروّحن بها على انفسهنّ من شدّة الحرّ. ولم ارَ اجتماع النساء في مثل عددهنّ في بلدة من البلاد.

ذكر سلطان شيراز

وسلطان شيراز في عهد قـدومي عليها الملك الفـاضل ابو اسحق بن محمد شاه يَنجُو، سمّاه ابوه باسم الشيخ ابي اسحق الكازروني، نفع الله به. وهو من خيار السلاطين، حسن الصورة، والسيرة، والهيئة؛ كريم النفس، جميل الاخلاق، متواضع، صاحب قوّة، وملك كبير، وعسكره ينيف على خمسين الفاً من الترك والاعاجم. وبطانته الادنون اليه اهـل اصفهان. وهو لا يأتمن اهل شيراز على نفسه، ولا يستخدمهم، ولا يقرّبهم، ولا يبيح لاحد منهم حمل السلاح. لانهم اهل نجدة وبأس شديد، وجرأة على الملوك. ومن وُجد بيده السلاح عُوقب. ولقد شاهدت مرّة رجلاً تجرّه الجنـادرة، وهم الشُرَط، الى الحاكم، وقد ربطوه في عنقـه. فسألت عن شأنه فأُخبرت انه وُجدت في يـده قوس بالليل. فذهب السلطان المذكور الى قهر اهل شيراز وتفضيل الاصفهانيين عليهم، لانه يخافهم على نفسه.

ثلاث حكايات عن ملك الهند

وهنا يذكر ابن بطوطة سخاء السلطان ابي اسحق وتشبّهه بملك الهند ولكنه يقول ان سلطان شيراز ابعد من ان يلحق بذلك ويورد هذه الحكايات برهاناً على زعمه :

حكاية

ومن عجيب فعل ملك الهند مع الخراسانيين انه قدم عليه رجل من فقهاء خراسان، هرويّ الدار، من سكّان خوارزم، يُسمّى بالامير عبد الله بعثته الخاتون ترابك، زوج الامير قُطلودُمور، صاحب خوارزم، بهدية الى ملك الهند المذكور. فقبلها وكافأ عنها باضعافها، وبعث ذلك اليها. واختار رسولها المذكور الاقامة عنده فصيّره في ندمائه. فلما كان ذات يوم قال له: «ادخل الى الخزانة، فارفع منها قدر ما تستطيع ان تحمله من الذهب» فذهب الى داره فاتى بثلاث عشرة خريطة، وجعل في كل خريطة قدر ما وسعته. وربط كل خريطة بعضو من اعضائه؛ وكان صاحب قوّة. وقام بها. فلما خرج عن الخزانة وقع، ولم يستطع النهوض. فامر السلطان بوزن ما خرج به. فكان جملته ثلاثة عشر منًّا بمنّ دهلي. والمنّ الواحد منها خمسة وعشرون رطلًا مصريّة. فامره ان يأخذ جميع ذلك، فاخذه وذهب به.

حكاية تناسبها

اشتكى مرّة امير بخت، الملقّب بشرف الملك الخراساني، بحضرة ملك الهند. فاتاه الملك عائدًا. ولما دخل عليه، اراد القيام، فحلف له الملك ان لا ينزل عن كتّه، والكت هو السرير. ووضع للسلطان مُتّكأة يسمّونها «المورة»، فقعد عليها. ثم دعا بالذهب والميزان، فجيء بذلك. وامر المريض ان يقعد في احدى كفتي الميزان. فقال: «يا خوند عالم (١)

(١) يعني: يا ملك العالم

لو علمت انك تفعل هذا ، للبست عليّ ثياباً كثيرة ». فقال له: « البس الان جميع ما عندك من الثياب ». فلبس ثيابه المعدّة للبرد المحشوّة بالقطن، وقعد في كفة الميزان، ووضع الذهب في الكفة الاخرى حتى رجحه الذهب. وقال له : « خذ هذا فتصدّق به عن رأسك » وخرج عنه.

حكاية تناسبها

وفد عليه الفقيه عبد العزيز الاردويلي ، وكان قد قرأ علم الحديث بدمشق وتفقّه فيه ، فجعل مرتّبه مائة دينار دراهم في اليوم وصَرْف ذلك خمسة وعشرون ديناراً ذهباً. وحضر مجلسه يوماً ، فسأله السلطان عن حديث ، فسرد له احاديث كثيرة في ذلك المعنى. فاعجبه حفظه ، وحلف له برأسه انه لا يزول من مجلسه ، حتى يفعل معه ما يراه. ثم نزل الملك عن مجلسه فقبّل قدميه ، وامر باحضار صينيّة ذهب ، وهي مثل الطيفور الصغير ، وامر ان يُلقى فيها الف دينار من الذهب. واخذها السلطان بيده ، فصبّها عليه. وقال : « هي لك مع الصينيّة ».

وترك شيراز فنزل ببلاد الشول « وهم طائفة من الاعاجم يسكنون البرية وفيهم الصالحون » فكازرون ؛ فدينة الزَيْدَين ؛ فالحُوَيزاء ؛ فالكوفة.

الفصل السادس

العراق وديار بكر

مدينة الكوفة

وهي احدى امهات البلاد العراقية، المتميّزة فيها بفضل المزيّة، مثوى الصحابة والتابعين، ونزل العلماء والصالحين، وحضرة علي بن ابي طالب امير المؤمنين. الّا ان الخراب استولى عليها، بسبب ايدي العُدوان التي امتدّت اليها. وفسادها من عرب خَفاجة، المجاورين لها، فانهم يقطعون طريقها. ولا سور عليها، وبناؤها بالآجرّ، واسواقها حسان. واكثر ما يباع فيها التمر والسمك. وجامعها الاعظم جامع كبير، شريف. بلاطاته سبعة قائمة على سواري حجارة ضخمة منحوتة، قد صنعت قطعاً، ووضع بعضها على بعض، وافرغت بالرصاص؛ وهي مفرطة الطول. وبهذا المسجد آثار كريمة: فنها بيت إزاء المحراب، عن يمين مستقبل القبلة، يقال ان الخليل، صلوات الله عليه، كان له مصلّى بذلك الموضع. وعلى مقربة منه محراب محلّق عليه باعواد الساج، مرتفع، وهو محراب علي بن ابي طالب (رضه) وهنالك ضربه الشقي ابن مُلجم، والناس يقصدون الصلاة به...

قبر ابن ملجَم (١.

ورأيت بغربي جبـانة الكوفة موضعاً مسودًّا ، شديد السواد ، في بسيط ابيض. فـأخبرت انه قبر الشقي ابن مُلجَم ، وان اهل الكوفة يأتون كل سنة بالحطب الكثير فيوقدون النـار ، على موضع قبره سبعة ايام.

صاحب الزمان

ثم قصد الى بغداد فنزل بئر ملّاحة ، فدينة الحِلّة ، غربي الفرات.

واهلها إمامية اثنا عشرية، وهم طائفتان : احداهما تعرف بالاكراد، والاخرى تُعرف باهل الجامعين، والفتنة بينهم متصلة ، والقتال قائم ابداً. وبمقربـة من السوق الاعظم ، بهذه المدينة ، مسجد على بابه ستر حرير مسدول، وهم يسمّونه «مشهد صاحب الزمان».ومن عاداتهم انه يخرج ، في كل ليلة ، مائة رجـل من اهل المدينة عليهم السلاح وبأيديهم السيوف مشهورة ، فيأتون امـيرَ المدينة بعد صلاة العصر ، فيـأخذون منه فرساً مسرجاً ملجماً او بغلة كذلك ، ويضربون الطبول ، والانفار ، والبوقات، امام تلك الدابّة . ويتقدّمها خمسون منهم ، ويتبعها مثلهم . ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها ، ويأتون مشهد صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون : «باسم الله ، يا صاحب الزمان ، باسم الله ، اخرج . قد ظهر الفساد ، وكثر الظلم ، وهـذا اوان خروجك فيعرف الله بك بين الحق والباطل». ولا يزالون كذلك وهم يضربون الابواق، والاطبـال ، والانفار الى صلاة

١) هو قاتل علي بن ابي طالب في ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ. (٦٦١) (اطلب الجزء الاول من « الروائع » في علي بن ابي طالب، ص: ط)

الغرب. وهم يقولون ان محمد بن الحسن العسكري (١ دخل ذلك المسجد وغاب فيه، وانه سيخرج، وهو الامام المنتظر عندهم.

مدينة بغداد

مدينة دار السلام، وحضرة الاسلام، ذات القدر الشريف، والفضل المنيف، مثوى الخلفاء، ومقرّ العلماء.

وبعد ان يذكر قول ابن جبير، واقوال الشعراء، يتم وصفه قائلا :

ولبغداد جسران... والناس يعبرونها ليلا ونهاراً، رجالاً ونساء. فهم في ذلك في نزهة متصلة وببغداد من المساجد التي يُخطب فيها وتُقام فيها الجمعة احد عشر مسجداً: منها بالجانب الغربي ثمانية، وبالجانب الشرقي ثلاثة. والمساجد سواها كثيرة جداً وكذلك المدارس، الا انها خربت. وحمّامات بغداد كثيرة، وهي من ابدع الحمّامات. واكثرها مطلية بالقار مسطّحة به، فيخيّل لرائيه انه رخام اسود. وهذا القار يُجلب من عين بين الكوفة والبصرة، تنبع ابداً به. ويصير في جوانبها كالصلصال، فيجرف منها، ويُجلب الى بغداد.

طريقة الاستحمام

وفي كل حمّام منها خلوات كثيرة، كل خلوة منها مفروشة بالقار، مطليّ نصف حائطها مما يلي الارض به، والنصف الاعلى مطليّ بالجص الابيض الناصع. فالضدان بها مجتمعان، متقابل حسنها. وفي داخل كلّ

---

١) هو في زعم البعض ابن الحسن العسكري (٨٤٦–٨٧٤) وهذا ابن ابي الحسن علي بن محمد العسكري (٨٢٨–٨٦٨) عاشر امام في مذهب الشيعيين. اما وجود محمد المذكور فينكره الكثيرون من اتباع المذاهب الاسماعيلية المتعدّدة.

خلوة، حوض من الرخام فيه انبوبان: احدهما يجري بالماء الحار، والآخر بالماء البارد. فيدخل الانسان الخلوة منها منفرداً لا يشاركه احد الّا ان اراد ذلك. وفي زاوية كل خلوة ايضاً حوض آخر للاغتسال، فيه ايضاً انبوبان يجريان بالحارّ والبارد. وكل داخل يُعطى ثلاثاً من الفوَط: احداها يتّزر بها عند دخوله، والاخرى يتّزر بها عند خروجه، والاخرى ينشّف بها الماء عن جسده. ولم ارَ هذا الاتقان كله في مدينةٍ سوى بغداد. وبعض البلاد تقاربها في ذلك.

ثم يتبسط في وصف حاني بغداد وقبور الخلفاء والعلماء فيها. ويوافق وصوله الى بغداد كون ملك العراقين وخراسان بها وهو ابو سعيد بَهادُر خان، فيذكره وخلفاءه مع طريقة سفر سلاطين العراق

مدينة الموصل

وهي مدينة عتيقة كثيرة الخصب. وقلعتها المعروفة بالحَدْباء، عظيمة الشأن، شهيرة الامتناع، عليها سور محكَم البناء، مشيَّد البروج. وتتصل بها دور السلطان. وقد فصل بينها وبين البلد شارع متَّسع مستطيل من اعلى البلد الى اسفله. وعلى البلد سوران اثنان وثيقان، ابراجها كثيرة متقاربة. وفي باطن السور بيوت بعضها على بعض مستديرة بجداره، قد تمكَّن فتحها فيه لسعته. ولم ارَ في اسوار البلاد مثله، الا السور الذي على مدينة دهلي، حضرة ملك الهند.

وللموصل ربض كبير فيه المساجد، والحمّامات، والفنادق، والاسواق. وبه مسجد جامع على شطّ الدجلة تدور به شبابيك حديد، وتتصل به مصاطب تُشرف على دجلة، في النهاية من الحسن والاتقان. وامامه

مـــارستان . وبداخل المدينة جامعان : احدهما قديم والآخر حديث ، وفي صحن الحديث منها قبة في داخلها خصّة (١ رخام ، مثمّنة ، مرتفعة على سارية رخام ، يخرج منها المـــاء بقوّة وانزعاج ، فيرتفع مقدار القـــامة ثم ينعكس ، فيكون له مرأى حسن . وقيسارية الموصل مليحة لهـــا ابواب حديد ، ويدور بها دكاكين وبيوت بعضها فوق بعض ، متقنة البناء .

وخرج من الموصل فشاهد آثار مدينة ينوى ، فعين الرصد ، فالمويلحة ، فجزيرة ابن عمر ، فجبل الجودي ، فدينة نصيبين ، فدينة سنجار التي « تشبه دمشق في كثرة انهارها وبساتينها » فدينة دارا ، فدينة ماردين « وبها تصنع الثياب المنسوبة اليها من الصوف المعروف بالمَرْعِزّ ، ولها قلعة شمّاء » .

ثم عاد الى الموصل فبغداد ومنها قصد الحجّ ثانية الى مكة فاقام بها ثلاث سنوات ، وكان قد أصيب بمرض فشفي منه

الفصل السابع

افريقيا الشرقية — اليمن

وخرج من مكة الى اليمن فنزل حَدَّة « وهي نصف الطريق ما بين مكة وجُدَّة » . ثم ابحر من جُدَّة قاصداً افريقيا الشرقية .

حكاية

ولمـــا ركبنا البحر امر الشريف منصور احد غلمانه ان يأتيه بعديلة

---

١) خصة : بركة

دقيق، وهي نصف حمل، وبطة سمن، يأخذهما من جلب اهل اليمن. فأخذهما واتى بهما اليه. فاتاني التجار باكين، وذكروا لي ان في جوف تلك العديلة عشرة الآف درهم نُقرة (١)، ورغبوا مني ان اكلّمه في ردّها وان يأخذ سواها. فأتيته وكلّمته في ذلك وقلت له: «ان التجار في جوف هذه العديلة شيئاً». فقال: «ان كان سكرًا (٢ فلا اردّه اليهم، وان كان سوى ذلك فهو لهم» ففتحوها، فوجدوا الدراهم فردّها عليهم.

تغيّر الريح

ثم سافرنا في هذا البحر بالريح الطيبة يومين. وتغيّرت الريح بعد ذلك وصدّتنا عن السبيل التي قصدناها. ودخلت امواج البحر معنا في المركب، واشتدّ الميَد بالناس ولم نزل في اهوال حتى خرجنا في مرسى يُعرف «برأس دوائر» فيما بين عيذاب وسواكن.

فنزلنا به، ووجدنا بساحله عريش قصب على هيئة مسجد، وفيه كثير من قشور بيض النعام مملوءة ماء، فشربنا منه وطبخنا. ورأيت بذلك المرسى عجباً، وهو خور مثل الوادي يخرج من البحر، فكان الناس يأخذون الثوب، ويمسكون باطرافه، ويخرجون به، وقد امتلأ سمكاً كل سمكة منها قدر الذراع. ويعرفونه بالبوري. فطبخ منه الناس كثيرًا، واشتووا. وقصدت الينا طائفة من البجاة (٣ . . . فاكترينا منهم الجمال وسافرنا معهم في برّية، كثيرة الغزلان، والبجاة لا يأكلونها، فهي

---

١) نقرة : اي فضّة
٢) سكرًا : اي خمرًا
٣) راجع (ص : ٢٩)

تأنس بالآدمي ولا تنفر منه. وبعد يومين من مسيرنا وصلنا الى حيّ من العرب، يُعرفون بأولاد كاهل، مختلطين بالبجاة عارفين بلسانهم.

جزيرة سواكن

وفي ذلك اليوم وصلنا الى جزيرة سواكن، وهي على نحو ستة اميال من البرّ. ولا ماء بها، ولا زرع، ولا شجر. والماء يُجلب اليها في القوارب، وفيها صهاريج يجتمع بها المطر. وهي جزيرة كبيرة، وبها لحوم النعام، والغزلان، وحُمر الوحش، والمعز عندهم كثير؛ والالبان، والسمن، ومنها يُجلب الى مكة، وحبوبهم الجرجور، وهو نوع من الذُرة كبير الحبّ، يُجلب منه ايضاً الى مكة.

وركب ابن بطوطة البحر الى اليمن فمرّ على مدينة حَلِي، وسكانها من العرب من بني حرام وبني كنانة، وسرجة، وزبيد وهي اكبر المدن بعد صنعاء، وجُبلة، وتعز.

ذكر سلطان اليمن

وهو السلطان الماجد نور الدين علي بن السلطان المؤيّد... ابن رسول. وجدّه يسمّى برسول لان احد خلفاء بني العباس ارسله الى اليمن ليكون بها اميراً؛ ثم استقل اولاده بالملك. وله ترتيب عجيب في قعوده، وركوبه...

فلما كان في اليوم الرابع، وهو يوم الخميس، وفيه يجلس السلطان لعامّة الناس، دخل بي (القاضي) عليه. فسلّمت عليه. وكيفية السلام عليه ان يمسّ الانسان الارض بسبّابته ثم يرفعها الى رأسه ويقول: « ادام الله

عزّك ! » ففعلت كمثل ما فعله القاضي . وقعد القاضي عن يمين الملك وامرني فقعدت بين يديه . فسألني عن بلادي ، وعن مولانا امير المسلمين ، جواد الاجواد ابي سعيد (رضه) وعن ملك مصر ، وملك العراق ، وملك اللور ، فاجبته عمّا سأل من احوالهم . وكان وزيره بين يديه ، فامره باكرامي وانزالي .

وترتيب قعود هذا الملك انه يجلس فوق دُكانة(١ مفروشة ، مزيّنة بثياب الحرير ، وعن يمينه ويساره اهل الصلاح . ويليه منهم اصحاب السيوف والدرق ، ويليهم اصحاب القسيّ ، وبين يديهم ، في الميمنة والميسرة ، الحاجب ، وارباب الدولة ، وكاتب السرّ . وامير جندار على رأسه ، والشاوُشيّة ، وهم من الجنادرة (٢) وقوف على بعد . فاذا قعد السلطان ، صاحوا صيحةً واحدة : « بسم الله ! » فاذا قام ، فعلوا مثل ذلك . فيعلم جميع من بالمشوَر وقت قيامه ووقت قعوده . فاذا استوى قاعداً ، دخل كل من عادتُه ان يسلّم عليه ، فسلّم ووقف حيث رُسم له ، في الميمنة او الميسرة ، لا يتعدّى احد موضعه ولا يقعد الا من أُمر بالقعود ؛ يقول السلطان للامير جندار : « مُر فلاناً يقعد » . فيتقدّم ذلك المأمور بالقعود عن موقفه قليلاً ويقعد على بساط هنالك ، بين ايدي القائمين في الميمنة والميسرة .

ثم يؤتى بالطعام وهو طعامان : طعام العامّة ، وطعام الخاصّة . فأمّا الطعام الخاصّ فيأكل منه السلطان ، وقاضي القضاة ، والكبار من الشرفاء

---

١) راجع : (ص : ٥١ حاشية : ٢)
٢) اي رجال الشحنة

ومن الفقهاء والضيوف ، واما الطعام العام فيأكل منه سائر الشرفاء والفقهاء والقضاة والمشايخ والامراء ووجوه الاجنـاد . ويجلس كل انسان للطعام معيّن لا يتعدّاه ، ولا يزاحم احد منهم احداً .

وعلى مثل هـذا الترتيب سواء هو ترتيب ملك الهند في طعامه . فلا اعلم ان سلاطين الهند اخذوا ذلك عن سلاطين اليمن ام سلاطين اليمن اخذوه عن سلاطين الهند .

واقمت في ضيافة سلطان اليمن اياماً ، واحسن اليّ ، واركبني .

مدينة صنعاء

وانصرفت مسافراً الى مدينة صنعاء . وهي قاعدة بلاد اليمن الاولى . مدينة كبيرة ، حسنة العمارة ، بناؤها بالآجرّ والجصّ . وهي كثيرة الاشجار والفواكه والزرع ، معتدلة الهواء ، طيّبة الماء . ومن الغريب ان المطر ببلاد الهنـد ، واليمن ، والحبشة ، انما ينزل في ايام القيظ ، واكثر ما يكون نزوله بعد الظهر من كل يوم في ذلك الاوان . فالمسافرون يستعجلون عنـد الزوال لئـلّا يصيبهم المطر ، واهل المدينة ينصرفون الى منـازلهم ، لان امطارها وابلة متدفقة . ومدينة صنعاء مفروشة (١ كلها ، فاذا نزل المطر غسل جميع ازقّتها ، وانقاها .

مدينة عدن

ثم سافرت منها الى مدينة عَدَن ، مرسى بلاد اليمن على ساحل البحر الاعظم . والجبـال تحفّ بها ، ولا مدخل اليها الا من جانب واحد . وهي مدينة كبيرة ، ولا زرع بها ، ولا شجر ، ولا ماء . وبها صهاريج يجتمع فيها

---

(١) مفروشة : اي مبلّطة

الماء ايام المطر . والماء على بعد منها ، فربما منعته العرب ، وحالوا بين اهل المدينة وبينه ، حتى يصانعوهم بالماء والثياب . وهي شديدة الحرّ .

وهي مرسى اهـل الهند تأتي اليها المراكب العظيمة من كُنْبايت ، وتانَة ، وكَوْلَم ، وقالقوط ، وفندراينة ، والشاليات ، ومَنْجرُور ، وفاكنور ، وهِنَوْر ، وسندبور ، وغيرها . وتجّار الهند ساكنون بها ، وتجار مصر ايضاً.

واهل عدن ما بين تجار ، وما بين حمّالين ، وصيّادين للسمك . وللتجار منهم اموال عريضة ، وربما يكون لاحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه لا يشاركه فيه غيره ، لسعة ما بين يديه من الاموال . ولهم في ذلك تفاخُر ومباهاة .

حكاية

ذُكر لي ان بعضهم بعث غـلاماً له ، ليشتري له كبشاً . وبعث آخر منهم غلامـاً له برسم ذلك ايضاً . فاتفق انه لم يكن بالسوق ، في ذلك اليوم ، الا كبش واحد ، فوقعت المزايدة فيه بين الغلامين . فانتهى ثمنه الى اربعمائة دينار ، فاخذه احدهما وقال : « ان رأس مالي اربعمائة دينار ، فان اعطاني مولاي ثمنـه فحسن . والّا دفعت فيه رأس مالي ، ونصرت نفسي ، وغلبت صاحبي » . وذهب بالكبش الى سيده . فلـما عرف سيده بالقضية اعتقه ، واعطاه الف دينار . وعاد الآخر الى سيده خائباً ، فضربه ، واخذ ماله ، ونفاه عنه .

مدينة زيلع

وسافرت من مدينة عدن في البحر اربعة ايام ، ووصلت الى مدينة

زيلع وهي مدينــة البربرة. وهم طائفة من السودان، شافعية المذهب، وبلادهم صحراء مسيرة شهرين. اولها زيلع وآخرها مَقدَشو. ومواشيهم الجمال، ولهم اغنام مشهورة السِمَن. واهل زيلع سود الالوان، واكثرهم رافضة. وهي مدينة كبيرة لها سوق عظيمة. الّا انها اقــذر مدينة في المعمور، واوحشها، واكثرها نَتْناً. وسبب نتنها كثرة سمكها، ودماء الابل التي ينحرونها في الازقّة. ولما وصلنا اليها اخترنا المبيت بالبحر، على شدّة هوله، ولم نبت بها لقذرها.

مدينة مَقدَشو

ثم سافرنا منها في البحر خمس عشرة ليــلة، ووصلنا مقدَشو. وهي مدينة متناهية في الكبر، ولاهلها لهم جمال كثيرة ينحرون منها المئين في كل يوم، ولهم اغنام كثيرة. واهلها تجار اقوياء وبها تُصنع الثياب المنسوبة اليها التي لا نظير لها، ومنها تُحمل الى ديار مصر وغيرها.

ومن عادة اهل هذه المدينة انه متى وصل مركب الى المرسى، تصعد الصنابق، وهي القوارب الصغار، اليه. ويكون في كل صنبوق جماعة من شبان اهلها. فيأتي كل واحــد منهم بطبَق مغطى، فيه الطعام. فيقدّمه لتاجر من تجار المركب ويقول: «هذا نزيلي». وكذلك يفعل كل واحد منهم. ولا ينزل التــاجر من المركب الا الى دار نزيله من هؤلاء الشبان، الّا من كان كثير التردّد الى البلد وحصلت له معرفة اهله، فــانه ينزل حيث شاء. فــاذا نزل عند نزيله، باع له ما عنده واشترى له. ومن اشترى منه ببَخس او باع منه بغيرِ حضور نزيله، فذلك البيع مردود عندهم. ولهم منفعة في ذلك.

ذكر سلطان مَقْدَشو

وسلطان مقدشو يقولون له الشيخ، واسمه ابو بكر ابن الشيخ عمر، وهو في الاصل من البربرة، وكلامه بالمقدشي، ويعرف اللسان العربي...

زاره ابن بطوطة مع القاضي فاستقبله

واتى (الغلام) بطبق فيه اوراق التنبول (١ والفَوْفل(٢، فاعطاني عشرة اوراق مع قليل من الفوفل، واعطى القاضي كذلك، واعطى لاصحابي ولطلبة القاضي ما بقي في الطبق. وجاء بقُمْقُم من ماء الورد الدمشقي، فسكب عليَّ وعلى القاضي...

وطعامهم الارز المطبوخ بالسمن يجعلونه في صحفة خشب كبيرة، ويجعلون فوقه صحاف الكوشان وهو الإدام من الدجاج، واللحم، والحوت، والبقول. ويطبخون الموز قبل نضجه في اللبن والحليب، ويجعلونه في صحفة، ويجعلون اللبن المرَيَّب في صحفة، ويجعلون عليه الليمون المصيَّر، وعناقيد الفلفل المصيَّر، المخلَّل والمملوح، والزنجبيل(٣ الاخضر، والعنباء وهي مثل التفاح ولكن لها نواة. وهي اذا نضجت شديدة الحلاوة، وتؤكل كالفاكهة. وقبل نضجها حامضة كالليمون يصيّرونها في الخلّ. وهم اذا اكلوا لقمة من الارز، اكلوا بعدها من هذه الموالح والمخلّلات.

---

١) التنبول: (انظر ص : ٨٠)

٢) الفوفل: نوع من النخل طويل الساق يثمر جوزاً تبلغ الواحدة منه حجم البيضة. — ٣) الزنجبيل نوع من الاعشاب، القوية الرائحة، تزهر في سنبلة مجتمعة، تستعمل كالافاويه والابجار

والواحد من اهل مقدشو يأكل قدر ما تأكله الجماعة منا ، عادةً لهم . وهم في نهاية من ضخامة الجسد . وسمنها . . .

(ثم) اتوني بكسوة ، وكسوتهم فوطة خزّ يشدّها الانسان في وسطه عوض السراويل فانهم لا يعرفونها ، ودرّاعة من المقطع المصري معلّمة ، وفرجيّة من القدسي مبطّنة ، وعمامة مصرية معلّمة .

جزيرة مَنْبَسى

ثم ركبت البحر من مدينة مقدشو متوجهاً الى بلاد السواحل ، قاصداً مدينة كُلوا من بلاد الزنوج ، فوصلنا الى جزيرة مَنْبسى . وهي جزيرة كبيرة ، بينها وبين ارض السواحل مسيرة يومين في البحر ، ولا برّ لها . واشجارها الموز ، والليمون ، والأُترج . ولهم فاكهة يسمّونها « الجمّون » وهي شبه الزيتون ، ولها نوىً كنواه ، الا انها شديدة الحلاوة . ولا زرع عند اهل هذه الجزيرة ، وانما يُجلب اليهم من السواحل . واكثر طعامهم الموز والسمك . وهم شافعية المذهب ، اهل دين وعفاف وصلاح .

كُلْوَا

وركبنا البحر الى مدينة كُلوَا ، وهي مدينة عظيمة ساحلية ، اكثر اهلها الزنوج المستحكمو السواد ولهم شراطات في وجوههم كما هي في وجوه اليمنيين من جنادة .

وذكر لي بعض التجار ان مدينة سُفالة على مسيرة نصف شهر من مدينة كُلوَا ، وان بين سُفالة ويوفي ، من بلاد اليمنيين ، مسيرة شهر . ومن يوفي يؤتى بالتبر الى سُفالة .

ومدينـة كُلوَا من احسن المدن ، واتقنها عمـارة ، وكلها بالخشب وسقف بيوتها الديس(١) ، والامطار بها كثيرة وهم اهل جهاد لانهم في برّ واحد متصل مـع كفّار الزنوج ، والغالب عليهم الدين والصلاح ، وهم شافعية المذهب.

الفصل الثامن

الرجوع الى جزيرة العرب

ظَفَارِ الحموص

وركبنـا البحر من كُلوَا الى مدينة ظفارِ الحموض ، وهي آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي. ومنها تحمل الخيـل العتاق الى الهند. ويقطع البحر فيما بينها وبين بلاد الهند، مع مساعدة الريح، في شهرٍ كامل. وقد قطعته مرّةً من قالقوط، من بلاد، الهند الى ظفار في ثمانية وعشرين يوماً بالريح الطيبة ، لم ينقطع لنا جرى بالليل ولا بالنهار وبين ظفار وعدن ، في البرّ ، مسيرة شهر، في صحراء . وبينها وبين حضر َموت ستة عشر يوماً . وبينها وبين عُمان عشرون يوماً .

ومدينـة ظفار في صحراء منقطعة لا قرية بها ولا عمالة لها ، والسوق خارج المدينة بربَض يُعرف بالحرجاء ؛ وهي من اقذر الاسواق، واشدّها

---

١) الديس : نوع من القصب

نتناً ، واكثرها ذباباً ، لكثرة ما يُباع بها من الثمرات والسمك . واكثر سمكها النوع المعروف بالسَّرْدين ، وهو بها في النهاية من السِمَن . ومن العجائب ان دوابهم انما علفها من هذا السردين ، وكذلك غنمهم . ولم ارَ ذلك في سواها . واكثر باعتها الخَدَم ، وهنَّ يلبسن السواد .

وزرع اهلها الذرة وهم يسقونها من آبار بعيدة الماء . ولهم قمحٌ يسمّونه «العَلَس» وهو نوع من السُلت . والارز يُجلب اليهم من بلاد الهند وهو اكثر طعامهم . ودراهم هذه المدينة من النحاس والقصدير ولا تنفق في سواها . وهم اهل تجارة لا عيش لهم الا منها . . . وهم اهل تواضع ، وحسن اخلاق ، وفضيلة ، ومحبّة للغرباء .

ولباسهم القطن ، وهو يُجلب اليهم من بلاد الهند ، ويشدّون الفوَط في اوساطهم ، عِوض السِروال ، واكثرهم يشدُّ فوطة في وسطه ، ويجعل فوق ظهره أُخرى من شدّة الحرّ . ويغتسلون مرّات في اليوم . ويُصنع بها ثياب من الحرير ، والقطن ، والكتّان حسان جداً . والغالب على اهلها رجالاً ونساء ، المرض المعروف بداء الفيل وهو انتفاخ القدمين . . .

ولهذه المدينة بساتين فيها موز كثير ، كبير الجرم ، ووُزنت بحضري حبة منه ، فكان وزنها اثنتي عشرة اوقية . وهو طيب المطعم شديد الحلاوة . وبها ايضاً التَنْبول والنارجيل ، المعروف بجوز الهند ، ولا يكونان الا ببلاد الهند ، وبمدينة ظفار هذه لشبهها بالهند ، وقربها منها ، اللهم الا ان في مدينة زبيد في بستان السلطان شُجَيرات من النارجيل . واذ قد وقع ذكر التَنْبول والنارجيل ، فلنذكرهما ولنذكر خصائصهما :

ذكر التَّنْبُول

والتنبول شجر يُغرس كما تُغرس دوالي العنب، ويصنع له معرَّشات من القصب، كما يُصنع لدوالي العنب، او يُغرس له في مجاورة شجر النارجيل، فيصعد فيها كما تصعد الدوالي، وكما يصعد الفلفل. ولا ثمر للتنبول وانما المقصود منه ورقه، وهو يشبه ورق العلِّيق، واطيبه الاصفر؛ وتُجتنى اوراقه في كل يوم. واهل الهند يعظِّمون التنبول تعظيماً شديداً. واذا اتى الرجل دار صاحبه فاعطاه خمس ورقات منه، فكأنما اعطاه الدنيا وما فيها. لا سيَّما ان كان اميرًا او كبيرًا، واعطاؤه عندهم اعظم شأناً وادلّ على الكرامة، من اعطاء الفضة والذهب.

وكيفية استعماله ان يؤخذ قبله الفَوفل، وهو شبه جوز الطيب، فيكسر حتى يصير اطرافاً صغارًا، ويجعله الانسان في فمه ويعلكه. ثم يأخذ ورق التنبول، فيجعل عليه شيئاً من النورة، ويمضغها مع الفوفل. وخاصيته انه يطيِّب النكهة ويذهب بروائح الفم، ويهضم الطعام، ويقطع ضرر شرب الماء على الريق. ويُفرح اكله. ويجعله الانسان عند رأسه ليلًا فاذا استيقظ من نومه، او ايقظته زوجته او جاريته، اخذ منه فيذهب بما في فمه من رائحة كريهة.

ذكر النارجيل

وهو جوز الهند. وهذا الشجر من اغرب الاشجار شأناً واعجبها امرًا. وشجره شبه شجر النخل لا فرق بينهما، الا ان هذه تثمر جوزًا وتلك تثمر تمرًا. وجوزها يشبه رأس ابن آدم، لان فيها شبه العينين، والفم،

وداخلها شبه الدمــاغ اذا كانت خضراء ، وعليها ليف شبه الشعر . وهم يصنعون منــه حبالاً يخيطون بها المراكب عوضاً عن مسامير الحديد ، ويصنعون الحبال منه للمراكب . والجوزة منها ، وخصوصاً التي بجزائر ذيبة المَهَل ، تكون بمقدار رأس الآدمي .

ويزعمون ان حكيماً من حكماء الهند ، في غابر الزمان ، كان متصلاً بملك من الملوك ، ومعظماً لديه . وكان للملك وزير بينه وبين هذا الحكيم معاداة . فقال الحكيم للملك : « ان رأس هذا الوزير ، اذا قُطع ودُفن ، تخرج منه نخلة تثمر بتمر عظيم يعود نفعه على اهل الهند وسواهم من اهل الدنيــا » . فقال له الملك : « فان لم يظهر من رأس الوزير ما ذكرته ؟ » قال : « ان لم يظهر فاصنع برأسي كما صنعت برأسه » . فــامر الملك برأس الوزير فقُطع ، واخــذه الحكيم وغرس نواة تمر في دماغه ، وعالجها حتى صارت شجرة ، واثمرت بهذا الجوز . وهذه الحكاية من الاكاذيب ، وانما ذكرناها لشهرتها عندهم .

ومن خواصّ هــذا الجوز تقوية البدن ، واسراع السِمَن ، والزيادة في حمرة الوجه . ومن عجائبه انه يكون في ابتــداء امره اخضر ، فمن قطع بالسكين قطعة من قشره وفتح رأس الجوزة ، شرب منها ماء في النهاية من الحــلاوة والبرودة ، ومزاجه حارّ . فاذا شرب ذلك الماء ، اخذ قطعة القشرة وجعلها شبه الملعقة ، وجرّد بها مــا في داخل الجوزة من الطُعْم . فيكون طَعْمه كطَعْم البيضة ، اذا شُويت ولم يتمّ نضجها كلَّ التمام ، ويتغذّى به . ومنه كان غذائي ايام اقامتي بجزائر ذيبة المَهَل ، مدّة عام ونصف عام .

ومن عجائبه انه يُصنع منه الزيت ، والحليب ، والعسل :

فاما كيفية صناعة العسل منه ، فان خدّام النخل منه ، ويسمّون «الفازانيّة» ، يصعدون الى النخلة غدوّاً وعشيّاً ، اذا ارادوا اخذ مائها الذي يصنعون منــه العسل . وهم يسمّونه « الأطواق » . فيقطعون العِذق الذي يخرج منه الثمر ويتركون منه مقدار اصبعين ، ويربطون عليه قدراً صغيرة ، فيقطر فيها الماء الذي يسيل من العِذق . فاذا ربطها غدوةً صعد اليها عشيّاً ، ومعه قدحان من قشر الجوز المذكور ، احدهما مملوء ماء . فيصب ما اجتمع من مــاء العذق في احد القدحين ، ويغسله بالماء الذي في القدح الآخر . وينجر من العذق قليــلاً ، ويربط عليه القِدر ثانية . ثم يفعل غدوةً كفعله عشيّاً . فــاذا اجتمع له الكثير من ذلك الماء ، طبخه كما يطبخ ماء العنب اذا صُنع منــه الرُبّ . فيصير عسلاً عظيم النفع طيّباً ، فيشتريه تجار الهند واليمن والصين ، ويحملونه الى بلادهم ، ويصنعون منه الحلواء .

وامــا كيفية صنع الحليب منه ، فان بكل دار شبه كرسي تجلس فوقــه المرأة ، ويكون بيدها عصىً في احــد طرَفيها حديدة مُشرفة . فيفتحون في الجوزة مقدار ما تدخل تلك الحديدة ، ويجرشون ما في باطن الجوزة . وكل مــا ينزل منها يجتمع في صحفة ، حتى لا يبقى في داخــل الجوزة شيء . ثم يُمرس ذلك الجريش بالمــاء فيصير كلون الحليب بياضاً ، ويكون طعمه كطعم الحليب ، ويأتدم به الناس .

واما كيفية صنع الزيت ، فانهم يأخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره . فيزيلون قشره ، ويقطعونه قطعاً ، ويُجعل في الشمس . فاذا ذبل طبخوه في القدور ، واستخرجوا زيته . وبه يستصبحون ويأتدمون به ،

ويحمله النساء في شعورهن. وهو عظيم النفع .

حاسك

ومن هذه المدينة ، ركبنا البحر نريد عمان ، في مركب صغير لرجل يُعرف بعلي بن ادريس المصيري، من اهل جزيرة مصيرة . وفي الثاني لركوبنا، نزلنا بمرسى حاسك . وبه ناس من العرب ، صيادون للسمك ، ساكنون هنالك . وعندهم شجر الكندُر ، وهو رقيق الورق، واذا شُرطت الورقة منه ، قطر منها ماء شبه اللبن ، ثم عاد صمغاً . وذلك الصمغ هو اللُّبان ، وهو كثير جداً هنالك . ولا معيشة لاهل هذا المرسى الا من صيد السمك، وسمكهم يُعرف «باللُّخم» . وهو يشبه كلب البحر، يُشرَّح ويُقدَّد ويُقتات به . وبيوتهم من عظام السمك ، وسقفها من جلود الجمال .

ومن هناك يسير الى جبل لُمعان ، فجزيرة الطير ، فجزيرة مصيرة ، فقرية صور ، فمدينة قَلْهات ، فقرية طيبي

عُمان

ثم قصدنا بلاد عُمان فسرنا ستة ايام في صحراء . ثم وصلنا بلاد عمان في اليوم السابع . وهي خصبة ، ذات انهار واشجار وبساتين ، وحدائق نخل ، وفاكهة كثيرة مختلفة الاجناس .

نَزْوا

ووصلنا الى قاعدة هذه البلاد ، وهي مدينة نَزْوا . . . في سفح جبل تحفّ بها البساتين والانهار . ولها اسواق حسنة ، ومساجد معظّمة نقيّة . وعادة اهلها انهم يأكلون في صحون المساجد ، يأتي الانسان بما عنده ، ويجتمعون للاكل في صحن المسجد ، ويأكل معهم الوارد والصادر . ولهم نجدة وشجاعة ، والحرب قائمة فيما بينهم ابداً

وهم اباضية المذهب(١)، ويصلّون الجمعة ظهراً اربعاً، فاذا فرغوا منها قرأ الامام آيات من القرآن، ونثر كلاماً شبه الخطبة، يُرَضّي(٢) فيه عن ابي بكر وعمر، ويسكت عن عثمان وعلي. وهم اذا ارادوا ذكر علي (رضه) كنَوا عنه بالرجل، فقالوا: «ذُكر عن الرجل...» او «قال الرجل...» ويرضّون عن الشقيّ اللعين ابن ملجم، ويقولون فيه: «العبد الصالح قامع الفتنة». ونساؤهم يكثرن الفساد، ولا غيرة عندهم ولا انكار لذلك.

هُرمُز

ثم سافرت من بلاد عمان الى بلاد هُرمُز. وهُرمُز بلاد على ساحل البحر، وتسمّى ايضاً موغاستان، وتقابلها في البحر هُرمُز الجديدة، وبينهما في البحر ثلاثة فراسخ. ووصلنا الى هرمز الجديدة، وهي جزيرة مدينتها تسمّى جَرَون. وهي مدينة حسنة كبيرة، لها اسواق حافلة. وهي مرسى الهند والسند، ومنها تحمل سلع الهند الى العراقين، وفارس، وخراسان. وبهذه المدينة سكنى السلطان، والجزيرة التي فيها المدينة

---

١) الاباضية : هي فرقة من الخوارج تبعوا عبد الله بن اباض المرّي. وكانت اول ثوراتهم على الخلفاء سنة ١٢٩ هـ. (٧٤٧) على عهد مروان الثاني، فاحتلوا حضرموت وصنعاء ومكة والمدينة. ولكن لم يلبثوا ان كُسروا وأُخرجوا من مكة. على انهم اعادوا الكرة سنة ١٣٤ هـ. (٧٥١—٧٥٢) فانتشروا من ذاك الحين في بلاد عمان. وفي سنة ١٥٣ هـ. (٧٧٠) تغلبوا على مملكة افريقيا وانتشروا في طرابلس الغرب. اما معتقدهم، فيما يختص باصول الدين، فيوافق تقريباً معتقد السنيين. فهم يعتبرون القرآن والحديث من اصول الايمان، غير انهم يبدلون الاجماع والقياس بالرأي. — ٢) يرضّي : يقول : رضي الله

مسيره يوم ، واكثرها سباخ وجبال ملح ، وهو الملح الداراني ، وبه يصنعون الاواني للزينة ، والمنارات التي يضعون السرج عليها . وطعامهم السمك والتمر المجاوب اليهم من البصرة وعمان ، ويقولون بلسانهم : «خُرْمـا وماهي لوتِ يا دشاهي !» معناه بالعربي : «التمر والسمك طعام الملوك!» .
والماء في هذه الجزيرة له قيمة ، وبها عيون ماء وصهاريج مصنوعة يجتمع فيها ماء المطر ، وهي على بعدٍ من المدينة ، ويأتون اليها بالقِرَب ، فيملأونها ويرفعونها على ظهورهم الى البحر ، ويوسقونها في القوارب ، ويأتون بها الى المدينة .

ورأيت من العجائب عند باب الجامع ، فيما بينه وبين السوق ، رأس سمكة كأنه رابية ، وعيناه كأنهما بابان . فترى الناس يدخلون من احداهما ويخرجون من الاخرى .

ثم سافر من حَرَقْن الى كُوْرَستان ، فمدينـة لار ، فمدينة خنج فال حيث زار الشيخ ابا دُلف الفقير ، فمدينة سيراف

سيراف

وهي على ساحل بحر الهند المتصل ببحر اليمن وفارس ، وعدادُها في كور فـارس . مدينة لها انفساح وسعة ، طيبة البقعة ، في دورها بساتـين عجيبة فيها الرياحين والاشجار النـاضرة ، وشرب اهلها من عيون منبعثة من جبالهـا . وهم عجم من الفرس اشراف ، وفيهم طائفة من عرب بني سفاف ، الذين يغوصون على الجوهر .

ذكر مغاص الجوهر

ومغاص الجوهر فيما بين سيراف والبحرين، في خور راكد مثل الوادي العظيم. فاذا كان شهر ابريل وشهر مايه، تأتي اليه القوارب الكثيرة فيها الغوّاصون، وتجار فارس والبحرين والقطيف. ويجعل الغوّاص على وجهه، مهما اراد ان يغوص، شيئاً يكسوه، من عظم الغَيْلَم، وهي السلحفاة. ويصنع من هذا العظم ايضاً شكلاً شبه المِقراض يشدّه على انفه. ثم يربط حبلاً في وسطه، ويغوص. ويتفاوتون في الصبر في الماء، فنهم من يصبر الساعة والساعتين فما دون ذلك. فاذا وصل الى قعر البحر، يجد الصدف هنالك فيما بين الاحجار الصغار، مثبتاً في الرمل؛ فيقتلعه بيده، او يقطعه بجديدة عنده معدّة لذلك، ويجعلها في مخلاة جلد، منوطة بعنقه. فاذا ضاق نفَسه حرّك الحبل، فيحسّ به الرجل الممسك للحبل، على الساحل، فيرفعه الى القارب. فتؤخذ منه المخلاة، ويُفتح الصدف، فيوجد في اجوافها قطع لحم تقطع بجديدة. فاذا باشرت الهواء، جمدت فصارت جواهر. فيجمع جميعها من صغير وكبير، فيأخذ السلطان خمسه، والباقي يشتريه التجار الحاضرون بتلك القوارب. واكثرهم يكون له الدّين على الغوّاصين فيأخذ الجوهر في دينه، او ما وجب له منه.

البحرين

ثم سافرنا من سيراف الى مدينة البحرين. وهي مدينة كبيرة حسنة، ذات بساتين واشجار وانهار. وماؤها قريب المؤنة يحفر عليه بالايدي، فيوجد. وبها حدائق النخل والرمان والاترج. ويُزرع بها القطن. وهي

شديدة الحرّ ، كثيرة الرمال ، وربما غلب الرمل على بعض منازلها . وكان فيما بينها وبين عمان طريق استولت عليه الرمال وانقطع ، فلا يوصل من عمان اليها الا في البحر . . .

القُطيف

ثم سافرنا الى مدينـــة القُطَيف . وهي مدينة كبيرة حسنة ذات نخل كثير ، يسكنها طوائف العرب ، وهم رافضية غُلاة . . .

هجر

ثم سافرنا الى مدينة هَجَر ، وتسمّى الان بالحسا . . . وهي التي يُضرب المثل بها فيقال : « كجالب التمر الى هجر ! » وبها من النخيل ما ليس ببلدٍ سواها ، ومنهم يعلفون دوابّهم . واهلها عرب ، واكثرهم من قبيـــلة عبد القيس بن اقصى .

اليمامة

ثم سافرنا منها الى مدينة اليمامـــة ، وتسمّى ايضاً بحَجْر . . . مدينة حسنة خصبة ذات انهار واشجار . يسكنها طوائف من العرب ، اكثرهم من بني حنيفة . وهي بلدهم قديماً ، واميرهم طفيل بن غانم .

وحجَّ منها الى مكة مع الامير المذكور سنة ٧٣٢ هـ . (١٣٣٢) وسار من هناك الى عيذاب فمصر ، ثم رجع الى فلسطين وسوريا ولبنان فقطعها الى اللاذقية

الفصل التاسع

في آسيا الصغرى

في البحر

ومن اللاذقية ركبنا البحر في قُرقُورة (١ كبيرة للجنويّين، يسمّى صاحبها برتلمين(٢، وقصدنا برّ التركيّة المعروف ببلاد الروم. وانما نسبت الى الروم لانها كانت بلادهم في القديم. ومنها الروم الاقدمون واليونانية. ثم استفتحها المسلمون وبها الان كثير من النصارى، تحت ذمة التركمان. وسرنا في البحر عشراً بريح طيّبة. واكرمنا النصراني (٣ ولم يأخذ منا نَولاً (٤.

مدينة العَلايا

وفي العاشر وصلنا الى مدينة العَلايا، وهي اول بلاد الروم. وهذا الاقليم، المعروف ببلاد الروم، من احسن اقاليم الدنيا. وقد جمع الله فيه ما تفرّق من المحاسن في البلاد. فاهله اجمل الناس صوراً، وانظفهم

---

١) قُرقُورة : مركب كبير
٢) مرتَلْمين : لعلّه تصحيف « بَرتولوميو »
٣) النصراني : اي صاحب المركب
٤) النَول : كلمة يونانية الاصل، معناها : ما يدفعه المسافر في المركب من الاجرة وهو ما يسميه عامتنا « بالناوِلون »

ملابس، واطيبهم مطاعم، واكثر خلق الله شفقة. ولذلك يقال: «البركة في الشام، والشفقة في الروم!» ...

ويسافر من العَلايا الى مدينة أنطالية فيذكر الجمعية المعروفة «بالاخيّة الفتيان»

ذكر الأخيّة الفتيان

واحد الأخية اخيّ على لفظ الاخ اذا اضافه المتكلم الى نفسه. وهم بجميع البلاد التركمانية الرومية، في كل بلد، ومدينة، وقرية. ولا يوجد في الدنيا مثلهم اشدّ احتفالاً بالغرباء من الناس، واسرع الى اطعام الطعام وقضاء الحوائج، والاخذ على ايدي الظلَمة، وقتل الشُرَط، ومن لحق بهم من اهل الشرّ. والاخيّ، عندهم، رجل يجتمع اهل صناعته وغيرهم من الشبان الاعزاب والمتجردين، ويقدّمونه على انفسهم. وذلك هي «الفتوّة» ايضاً. وبني زاوية ويجعل فيها الفرش، والسُرُج، وما يحتاج اليه من الآلات. ويخدم اصحابه بالنهار في طلب معاشهم؛ ويأتون اليه بعد العصر بما يجتمع لهم، فيشترون به الفواكه والطعام الى غير ذلك مما يُنفق في الزاوية. فان ورد في ذلك اليوم مسافر على البلد، انزلوه عندهم، وكان ذلك ضيافته لديهم ولا يزال عندهم حتى ينصرف. وان لم يرد وارد، اجتمعوا هم على طعامهم، فأكلوا وغنّوا ورقصوا، وانصرفوا الى صناعاتهم بالغدو؛ واتوا بعد العصر الى مقدّمهم بما اجتمع لهم. ويسمّون «بالفتيان»، ويسمّى مقدّمهم، كما ذكرنا، «الاخيّ». ولم ارَ في الدنيا اجمل افعالاً منهم. ويشبههم في افعالهم اهل شيراز واصفهان، الّا ان هؤلاء احب في الوارد والصادر، واعظم اكراماً له وشفقةً عليه.

وفي الثاني من يوم وصولنا الى هذه المدينة ، اتى احد هؤلاء الفتيان الى الشيخ شهاب الدين الحموي ، وتكلّم معه باللسان التركي ، ولم اكن يومئذٍ افهمه . وكان عليه اثواب خلِقة ، وعلى رأسه قلنسوة لبد . فقال لي الشيخ : « اتعلم ما يقول هذا الرجل ؟ » فقلت : « لا اعلم ما قال » . فقال لي : « انه يدعوك الى ضيافته ، انت واصحابك » . فعجبت منه ، وقلت له : « نعم » . فلما انصرف قلت للشيخ : « هذا رجل ضعيف ، ولا قدرة له على تضييفنا ، ولا نريد ان نكلّفه » . فضحك الشيخ وقال لي : « هذا احد شيوخ الفتيان الإخية ، وهو من الخرّازين (١) وفيه كرم نفس . واصحابه نحو مائتين من اهل الصناعات ، قد قدّموه على انفسهم وبنوا زاوية للضيافة . وما يجتمع لهم بالنهار انفقوه بالليل .

وصف الضيافة

فلما صليت المغرب ، عاد الينا ذلك الرجل ، وذهبنا معه الى زاويته . فوجدنا زاوية حسنة ، مفروشة بالبُسُط الرومية الحسان وبها الكثير من ثُرَيَّات الزجاج العراقي . وفي المجلس خمسة من البياسيس ، والبيسوس شبه المنارة من النحاس ، له ارجل ثلاث ، وعلى رأسه شبه جلاس من النحاس ، وفي وسطه انبوب للفتيلة . ويملأ من الشحم المُذاب ، والى جانبه آنية نحاس ملاء بالشحم ؛ وفيها مقراض لاصلاح الفتيل . واحدهم موكّل بها ويسمّي عندهم « الجراجي » (٢ . وقد اصطف في المجلس جماعة من الشبان ، ولباسهم الأقبية ، وفي ارجلهم الأخفاف ، وكل واحد منهم

---

١) الخرّاز : الاسكاف

٢) جراجي : من التركية «جراغجي» اي الموكّل بالقنديل ، صاحب القنديل

متحزّم، على وسطه سكّين في طول ذراعين، وعلى رؤوسهم قلانس بيض من الصوف، باعلى كل قلنسوة قطعة موصلة بها في طول ذراع وعرض اصبعين. فاذا استقرّ بهم المجلس، نزع كل واحد قلنسوته ووضعها بين يديه؛ وتبقى على رأسه قلنسوة اخرى من الزَرْدَخاني(١ وسواه، حسنة المنظر. وفي وسط مجلسهم شبه مرتبة موضوعة للواردين.

ولما استقرّ بنا المجلس عندهم، اتوا بالطعام الكثير، والفاكهة، والحلواء. ثم اخذوا في الغناء والرقص. فراقنا حالهم، وطال عجبنا من سماحهم، وكرم انفسهم، وانصرفنا عنهم آخر الليل، وتركناهم بزاويتهم.

ثم يذكر سلطان اطالية، خِضْر بك. ويسير منها الى بلدة بُرْدور، فسَبَرْتا، فمدينة أكريدور، فيذكر سلطانها ابو اسحق بك ابن الدندار بك؛ فالى مدينة قُل حصار، ويذكر سلطانها محمد چلبي؛ فمدينة لاذق، ويذكر سلطانها ينَنج بك؛ فحصن طواس، فمدينة ميلاس، ويذكر سلطانها شجاع الدين أُرخان بك. الى ان يصل الى مدينة قونية

قونيه

مدينة عظيمة، حسنة العمارة، كثيرة المياه والانهار والبساتين والفواكه، وبها المشمش المسمّى بقمر الدين... ويحمل منه الى ديار مصر والشام. وشوارعها متسعة جداً، واسواقها بديعة الترتيب، واهل كل صناعة على حدة.

ويقال ان هذه المدينة من بناء الاسكندر. وهي من بلاد السلطان بدر الدين قَرَمان... وقد تغلّب عليها صاحب العراق، في بعض الاوقات، لقربها من بلاده التي بهذا الاقليم.

---

١) الزردخاني : نوع من الحرير الرقيق يشبه « التفتا »

وبهذه المدينة تربة الشيخ الامام، الصالح، القُطب، جـلال الدين المعروف «بمولانا» (١. وكان كبير القدر. وبارض الروم طائفة ينتمون اليه ويعرفون باسمه فيقال لهم «الجلالية»... وعلى تربته زاوية عظيمة فيها الطعام للصادر والوارد.

حكاية

يُذكر انه (اي جلال الدين) كان في ابتداء امره فقيهاً مدرّساً، يجتمع اليه الطلبة بمدرسته، بقونية. فدخل يوماً الى المدرسة رجل يبيع الحلواء، وعلى رأسه طبـق منها، وهي مقطوعة قطعاً، يُبيع القطعة منها بفلس. فلـما اتى مجلس التدريس قال له الشيخ: «هاتِ طبقك» فاخذ الحلواني قطعة منها واعطاها للشيخ. فاخذها الشيخ بيده، واكلها. فخرج الحلواني ولم يطعم احدًا سوى الشيخ، فخرج الشيخ في اتباعه، وترك التدريس فأبطأ على الطلبة، وطال انتظارهم اياه. فخرجوا في طلبه، فلم يعرفوا له مستقرًّا. ثم انه عـاد اليهم بعد اعوام، وتولّه، وصار لا ينطق الّا بالشعر الفارسي المتعلّق(٢، الذي لا يُفهم. وكان الطلبة يتبعونه ويكتبون

---

١) هو جلال الدين الرومي (١٢٠٧–١٢٧٣) اعظم شعراء الاسلام الصوفيين، ومؤسس طريقة الجلاليين او المَوْلويين. ولد في بلخ وتوفي في قونية وكان صديقاً حميماً لشمس الدين التبريزي حتى ضرب المثـل بصداقتهما. له كتب شعرية باللغة الفارسية منها «المثنوي» «والديوان» وكتاب في النثر عنوانه: «فيه ما فيه»

٢) المتعلّق: اي ذو القافية الواحدة في الشطرين من البيت

ما يصدر عنه من ذلك الشعر، والفوا منه كتاباً سموه «المثنوي». واهل تلك البـلاد يعظمون ذلك الكتاب، ويعتبرون كلامه، ويعلمونه، ويقرأونه بزواياهم في ليالي الجمعات.

ومن هنـاك سافر الى اللارَنْدة، فأقصَرا، فنَكدَة، فقيسارية، فسيواس، فأماصِيَة، فكُمِش، فأرزَنجان، فبِرِكي، وذكر سلطانها محمد بن آيدين.

حكاية

الحجر الساقط من السماء

وسألني السلطان، في هذا المجلس، فقال لي: «هل رأيت قط حجراً نزل من السماء؟» فقلت: «مـا رأيت ذلك، ولا سمعت به» فقال لي: «انه قد نزل، بخارج بلدنا هذا، حجر من السماء» ثم دعا رجالاً، وامرهم ان يأتوا بالحجر. فأتوا بحجر اسود اصمّ، شديد الصلابة، له بريق، قدّرت ان زِنتَه تبلغ قنطاراً. وامر السلطان باحضار القطّاعين فحضر اربعة منهم، فامرهم ان يضربوه، فضربوا عليه ضربة رجل واحد، اربع مرّات بمطارق الحديد. فلم يؤثّر فيه شيئاً. فعجبت من امره. وامر بردّه الى حيث كان.

وسافر من بركي الى تِيرَة، فمدينة أياسُلُوق، فيَزمِير (أزمير)، فمَغْنيسية، فبرغمة، فبَلِي كسْري، فبُرصَ (بورصة)، فيَزنيك، فكَكَجا، فكَاوية، فكَينوك، فمُطُرني، فبُولي، فكَرَدَي بُولي

قَسطَمونية

وهي من اعظم المدن واحسنها، كثيرة الخيرات، رخيصة الاسعار. نزلنا منها بزاوية شيخ يُعرف «بالاطروش» لثقل سمعه. ورأيت منه عجباً

وهو: ان احد الطلبة كان يكتب له في الهواء، وتارةً في الارض باصبعه، فيفهم عنه ويجيبه. ويحكي له بذلك الحكايات فيفهمها.

واقمنا بهذه المدينة نحو اربعين يوماً. فكنّا نشتري طابق(١ اللحم الغنمي السمين بدرهمين، ونشتري خبزاً بدرهمين، فيكفينا ليومنا، ونحن عشرة. ونشتري حلواء العسل بدرهمين فتكفينا اجمعين. ونشتري جوزاً بدرهم، وقسطلاً (٢ بمثله، فنأكل منها اجمعون، ويفضل باقيها. ونشتري حمل الحطب بدرهم، وذلك اوان البرد الشديد. ولم ارَ في البلاد مدينة ارخص اسعاراً منها.

وزار بعد ذلك مدينة صَنُوب، ثم ركب البحر الى بلاد القُرم

الفصل العاشر

بلاد القريم — روسيا الجنوبية

في البحر الاسود

فاكترينا مركباً، للروم، واقمنا احد عشر يوماً ننتظر مساعدة الريح. ثم ركبنا البحر (٣ فلما توسطناه بعد ثلاث، هال علينا واشتدّ بنا الامر،

---

١) اي نصف الخروف

٢) القسطل: هو ما نسميه «الكستنا»

٣) المقصود: البحر الاسود

ورأينا الهلاك عياناً . وكنت بالطارمة (١) ومعنا رجل من اهل المغرب ، يسمّى ابا بكر . فامرته ان يصعد الى اعلى المركب لينظر كيف البحر ، ففعل ذلك واتاني بالطارمة فقال لي : « استودعك الله ! » . ودهمنا من الهول ما لم يعهد مثله . ثم تغيّرت الريح ، وردّتنا الى مقربة من مدينة صَنوب التي خرجنا منها . واراد بعض التجار النزول الى مرساها ، فمنعت صاحب المركب من انزاله .

ثم استقامت الريح وسافرنا . فلما توسطنا البحر ، هال علينا ، وجرى لنا مثل المرّة الاولى . ثم ساعدت الريح ، ورأينا جبال البرّ وقصدنا مرسى يسمّى الكرْش (٢) فاردنا دخوله . فاشار الينا اناس كانوا بالجبل ان لا تدخلوا . فخفنا على انفسنا ، وظننا ان هناك اجفاناً (٣) للعدو ، فرجعنا مع البرّ . فلما قاربناه ، قلت لصاحب المركب : « اريد ان انزل ها هنا » . فانزلني بالساحل . ورأيت كنيسة فقصدتها . . . وبتنا تلك الليلة بالكنيسة ، وطبخنا دجاجاً فلم نستطع اكلها ، اذ كانت مما استصحبناه في المركب ، ورائحة البحر قد غلبت على كل ما كان فيه .

صحراء قفْجَق

وهذا الموضع الذي نزلنا به ، هو من الصحراء المعروفة « بدشت قِفجَق » — والدشت بلسان الترك هو الصحراء — وهذه الصحراء خضرة نضرة ، لا شجر بها ، ولا جبل ، ولا تلّ ، ولا ثنيّة ، ولا حطب . وانما

١) الطارمة : مخدع في مؤخر المركب ، انفذ الى الماء
٢) الكَرْش : هو البوسفور
٣) الاجفان : المراكب الكبيرة

يوقدون الارواث ويسمّونها «التزك». فترى كبراءهم يلتقطونها ويجعلونها في اطراف ثيابهم.

طريقة السفر

ولا يُسافَر في هذه الصحراء، الّا في العجل. وهي مسيرة ستة اشهر: ثلاثة منها في بلاد السلطان محمد اوزبك، وثلاثة في بلاد غيره.

ولما كان الغد من يوم وصولنا الى هذه المرسى، توجه بعض التجار من اصحابنا، الى من بهذه الصحراء من الطائفة المعروفة «بقِفْجَق»، وهم على دين النصرانية، فاكترى منهم عجلة يجرّها الفرس.

مدينة الكَفَا

فركبناها ووصلنا الى مدينة الكفا... وهي مدينة عظيمة، مستطيلة على ضفة البحر، يسكنها النصارى واكثرهم الجنويّون. ولهم امير يعرف «بالدمدير». ونزلنا منها بمسجد المسلمين.

حكاية

ولما نزلنا بهذا المسجد، اقمنا به ساعة. ثم سمعنا اصوات النواقيس من كل ناحية، ولم اكن سمعتها قط، فهالني ذلك، وامرت اصحابي ان يصعدوا الصومعة، ويقرأوا القرآن، ويذكروا الله ويؤذّنوا، ففعلوا ذلك. فاذا برجلٍ قد دخل علينا، وعليه الدرع والسلاح، فسلّم علينا. واستفهمناه عن شأنه، فاخبرنا انه قاضي المسلمين هناك، وقال: «لما سمعت القراءة والاذان، خفت عليكم، فجئت كما ترون». ثم انصرف عنا، وما رأينا الّا خيراً.

ثم أكترى عجلة فسافر عليها الى مدينة القرم ، وهي اسكي قريم . واراد السير الى مدينة السرا ، حضرة السلطان محمد اوزبك ، فاشترى العجلات لذلك ، ووصفها قائلا :

ذكر العجلات التي يُسافر عليها بهذه البلاد

وهم يسمّون العجلة « عرَبَة » . وهي عجلات تكون للواحدة منهنّ اربع بكرات كبار ؛ ومنها ما يجرّه فرسان ومنها ما يجرّه اكثر من ذلك ؛ وتجرّها ايضاً البقر والجمال ، على حال العربة في ثقلها او خفتها . والذي يخدم العربة يركب احد الافراس التي تجرّها ويكون عليه سرج ؛ وفي يده سوط يحرّكه للمشي ، وعود كبير يصوّبها به اذا حادت عن القصد . ويُجعل على العربة شبه قبّة من قضبان خشب مربوط بعضها الى بعض بسيور جلد رقيق . وهي خفيفة الحمل ، وتُكسى باللبد او بالملفّ(١) . ويكون فيها طيقان مشبّكة . ويرى الذي بداخلها الناس ، ولا يرونه . ويتقلّب فيها كما يحبّ ، وينام ، ويأكل ، ويكتب ، وهو في حال سيره . والتي تحمل الاثقال ، والازواد ، وخزائن الاطعمة ، من هذه العربات ، يكون عليها شبه البيت كما ذكرنا وعليه قفل .

ووصل الى مدينة أزاق ، وذكر كثرة الخيل في هذه البلاد ورخص ثمنها ، واصدارها الى بلاد السند بكثرة . ثم سافر الى مدينة الماجر ولاحظ ان النساء فيها اعلى شأناً من الرجال فقال :

تعظيم النساء

ورأيت بهذه البلاد عجباً من تعظيم النساء عندهم . وهنّ اعلى شأناً

---

(١) أي الجوخ

من الرجال. فاما نساء الامراء، فكانت اول رؤيتي لهنّ عند خروجي من القِرَم، رؤية الخاتون (١ زوجة الامير سلطية، في عربة لها، وكلّها مجلّلة بالملف الازرق الطيب، وطيقان البيت مفتوحة وابوابه. وبين يديها اربع جوار فائقات الحسن، بديعات اللباس. وخلفها جملة من العربات فيها جوار يتبعها. ولما قربت من منزل الامير، نزلت عن العربة الى الارض. ونزل معها نحو ثلاثين من الجواري، يرفعنَ اذيالها. ولأثوابها عرًى، تأخذ كل جارية بعروة، ويرفعن الاذيال عن الارض من كل جانب...

واما نساء الباعة والسوقة، فرأيتهنّ واحداهنّ تكون في العربة والخيل تجرُّها، وبين يديها الثلاث والاربع من الجواري يرفعن اذيالها. وعلى رأسها البُغْطاق، وهو اقروف (٢ مرصّع بالجوهر، وفي اعلاه ريش الطواويس. وتكون طيقان البيت مفتّحة، وهي بادية الوجه، لان نساء الاتراك لا يحتجبن. وتأتي احداهنّ على هذا الترتيب، ومعها عبيدها، بالغنم واللبن؛ فتبيعه من الناس بالسِلَع العطرية. وربما كان مع المرأة منهنّ زوجها، فيظنّه من يراه بعض خدامها، ولا يكون عليه من الثياب الّا فروة من جلد الغنم، وفي رأسه قلنسوة تناسب ذلك، يسمّونها «الكُلا».

وترك مدينة الماجر الى معسكر السلطان في بش دغ وهو السلطان محمد اوزبك خان، فذكر حاشيته المديدة، وبلاده الواسعة، وعاداته، ونساءه منهنّ الخاتون الكبيرة، وابنته، وابنيه: تين بك (اي امير الجسد) وجان بك (اي امير الروح)

---

١) اي اميرة

٢) اقروف: قبة مستطيلة مخروطة الشكل

ذكر سفري الى مدينة بُلغار

وكنت سمعت بمدينة بُلغار، فاودت التوجّه اليها، لارى ما ذُكر عنها من انتهاء قصر الليل بها، وقصر النهار ايضاً، في عكس ذلك الفصل. وكان بينها وبين محلّة السلطان مسيرة عشر. فطلبت منه من يوصلني اليها، فبعث معي من اوصلني اليها، وردّني اليه. ووصلتها في رمضان فلما صلّينا المغرب افطرنا، وأُذّن بالعشاء في اثناء افطارنا، فصلّيناها، وصلّينا التراويح، والشَّفع، والوِتر، وطلع الفجر اثر ذلك. وكذلك يقصر النهار بها، في فصل قصره ايضاً واقمت بها ثلاثاً.

ذكر ارض الظلمة

وكنت اردت الدخول الى ارض الظلمة، والدخول اليها من بُلغار، وبينهما مسيرة اربعين يوماً، ثم اضربت عن ذلك لعظم المؤنة فيه، وقلّة الجدوى. والسفر اليها لا يكون الّا في عجلات صغار، تجرّها كلاب كبار. فان تلك المفارة فيها الجليد، فلا يثبت قدم الآدمي، ولا حافر الدابة فيها، والكلاب لها الاظفار، فتثبت اقدامها في الجليد.

طريقة السفر

ولا يدخلها الّا الاقوياء من التجار الذين يكون لاحدهم مائة عجلة او نحوها، موقرة بطعامه، وشرابه، وحطبه. فانها لا شجر فيها ولا حجر ولا مَدَر. والدليل بتلك الارض هو الكلب الذي قد سار فيها مراراً كثيرة. وتنتهي قيمته الى الف دينار ونحوها وتربط العربة الى عنقه،

ويقرن معه ثلاثة من الكلاب. ويكون هو المقدّم، وتتبعه سائر الكلاب بالعربات، فاذا وقف وقفت. وهذا الكلب لا يضربه صاحبه ولا ينهره؛ واذا حضر الطعام، اطعم الكلاب اولاً قبل بني آدم. والّا غضب الكلب، وفرّ وترك صاحبه للتلف.

كيفية المعاملات

فاذا كملت للمسافرين، بهذه الفلاة، اربعون مرحلة، نزلوا عند الظلمة؛ وترك كل واحد منهم ما جاء به من المتاع هنالك، وعادوا الى منزلهم المعتاد. فاذا كان من الغد عادوا لتفقّد متاعهم، فيجدون بازائه من السمّور، والسنجاب، والقاقم. فان ارضى صاحب المتاع ما وجده ازاء متاعه، اخذه. وان لم يرضه، تركه؛ فيزيدونه. وربما رفعوا متاعهم، اعني اهل الظلمة، وتركوا متاع التجار. وهكذا بيعهم وشراؤهم. ولا يعلم الذين يتوجهون الى هنالك من يبايعهم ويشاريهم: امن الجن ام من الانس، ولا يرون احداً

القاقم والسمّور

والقاقم هو احسن انواع الفراء. وتساوي الفروة منه ببلاد الهند الف دينار، وصرفها من ذهبنا مائتان وخمسون. وهي شديدة البياض من جلد حيوان صغير، في طول الشبر، وذنبه طويل يتركونه في الفروة على حاله.

والسمّور دون ذلك، تساوي الفروة منه اربعمائة دينار فما دونها. ومن خاصيّة هذه الجلود انه لا يدخلها القمل. وامراء الصين وكبارها يجعلون منه الجلد الواحد متصلاً بفرواتهم، عند العنق. وكذلك تجار فارس والعراقين.

فهرس

انتهى الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث

ابن بطوطة

تحفة النظار

في غرائب الامصار، وعجائب الاسفار

درس ومنتخبات

بقلم

فؤاد افرام البستاني

استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

الجزء الثالث

المطبعة الكاثوليكية

بيروت

١٩٢٧

ابن بطوطة ورحلته

وُلد ابو عبد الله محمد المعروف بابن بطوطة في طنجة سنة ١٣٠٤ . ولم يبلغ الثانية والعشرين من عمره حتى دفع به عامل التقوى الى الحجّ ، فقصد مكة سنة ١٣٢٥ . غير ان حبّه للاسفار ساقه الى مختلف البلاد : فقام برحلة اولى زار بها افريقيا الشمالية ، فسوريا ، فجزيرة العرب ، فافريقيا الشرقيــة ، فآسيا الصغرى ، فروسيا الجنوبية ، فالقسطنطينية ، فالسند والهند والصين . ورجع الى مراكش سنة ١٣٤٩ .

ولم يلبث ان قــام برحلة ثانية الى بلاد الاندلس . فثالثة الى بــلاد السودان فزار تنبكتو ، وتكدّا ، وهكار .

ثم عــاد الى فاس فاكرمه سلطانها ، وامره ان يُملي رحلته على احمد كتّابه محمد بن جُزَيّ . فقام بذلك وسمّى الكتاب « تحفة النظّار في غرائب الامصار ، وعجائب الاسفار » .

وتوفي ابن بطوطة سنة ١٣٧٧ . ولا شكّ في ان قيمته كبيرة جــداً بسبب سعة البــلدان التي جال فيها ، والمعلومات العديــدة التي ذكرها عن مختلف الشعوب . وقد اطلنا البحث في حياته ، وصدقه ، وامانته في مقدّمة الجزء الاول من الرحلة ، فلتراجع .

وتركنــاه في الجزء الثاني في آسيا الصغرى ، بعد ان زار مراكش ، وتونس ، والجزائر ، والقطر المصري ، وفلسطين ، ولبنــان ، وسوريا ، والحجاز ، والعراق ، وفــارس ، وديار بكر ، وافريقيا الشرقية ، واليمن ، وعُمــان ، وهُرمُز ، واللار ، والبحرين ، والاناضول ، والقريم ، وروسيا الجنوبية . وها هو يتكلّم الان عن مدينة استرخان :

تحفة النظار
في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

الرحلة الاولى

تابع
٣

ورجع الى محلة السلطان في بش دغ في آخر رمضان، فحضر العيد . ثم سافر مع حاشية السلطان الى

مدينة الحاج ترخان (١ — نهر اتل

وهي من احسن المدن، عظيمة الاسواق مبنية على نهر إتل(٢، وهو من انهار الدنيا الكبار . وهنالك يقيم السلطان حتى يشتد البرد ، ويجمد هذا النهر ، وتجمد المياه المتصلة به . ثم يأمر اهل تلك البلاد ، فيأتون بالآلاف من احمال التبن ، فيجعلونها على الجليد المنعقد فوق النهر — والتبن هنالك لا تأكله الدواب لانه يضرها، وكذلك ببلاد الهند، وانما اكلها الحشيش الاخضر لخصب البلاد — ويسافرون بالعربات فوق هذا النهر والمياه المتصلة به ، ثلاث مراحل . وربما جازت القوافل فوقه، مع آخر فصل الشتاء ، فيغرقون ويهلكون . . .

---

١) وتسمى استراخان . — ٢) هو نهر فولغا

الفصل الحادي عشر

القسطنطينية

ورغبت الخاتون بيلون، ابنة ملك الروم الى السلطان السفر الى القسطنطينية فاذن لها وصحبها ابن بطوطة في حاشية عديدة، فتوجهوا الى مدينة أكك، فجبال الروس «وهم نصارى شقر الشعور، زرق العيون، قباح الصور، اهل غدر؛ وعندهم معادن الفضة» فمدينة سرداق (سوداق)، فبابا سلطوق، فحصن مهتولي «وهو اول عمالة الروم»، فحصن مسلمة بن عبد الملك، فمدينة الفنيكة

القسطنطينية

وكان دخولنا عند الزوال او بعده الى القسطنطينية العظمى. وقد ضربوا نواقيسهم حتى ارتجت الآفاق لاختلاط اصواتها. ولما وصلنا الباب الاول من ابواب قصر الملك، وجدنا به نحو مائة رجل معهم قائد لهم فوق دكانة، وسمعتهم يقولون: «سراكنو، سراكنو» ومعناها: «المسلمون». ومنعونا من الدخول. فقال لهم اصحاب الخاتون: «انهم من جهتنا». فقالوا: «لا يدخلون الا بالاذن». فاقمنا بالباب وذهب بعض اصحاب الخاتون، فبعث من اعلمها بذلك، وهي بين يدي والدها. فذكرت له شأننا فامر بدخولنا، وعيّن لنا داراً بقربة من دار الخاتون، وكتب لنا امراً بان لا نُعترَض حيث نذهب من المدينة، ونودي بذلك في الاسواق. واقمنا بالدار ثلاثاً تُبعث الينا الضيافة من الدقيق والخبز والغنم والدجاج

والسمن والفاكهة والحوت والدراهم والفرس. وفي اليوم الرابع دخلنا على السلطان.

ذكر المدينة

وهي متناهية في الكِبَر، منقسمة بقسمين بينهما نهر عظيم فيه المدّ والجزر، على شكل وادي سلا من بلاد المغرب. وكانت عليه فيما تقدّم قنطرة مبنية، فخربت؛ وهو الان يُعبر في القوارب. واسم هذا النهر أبسُمي.

واحد القسمين من المدينة يسمّى «أُصطَنبُول» وهو بالعدوة الشرقية من النهر، وفيه سكنى السلطان وارباب دولته، وسائر الناس. واسواقه، وشوارعه، مفروشة بالصفّاح، متّسعة. واهل كل صناعة على حِدَة فلا يشاركهم سواهم، وعلى كل سوق، ابواب تُسدّ عليه بالليل. واكثر الصناع والباعة بها النساء. والمدينة في سفح جبل داخل في البحر نحو تسعة اميال وعرضه مثل ذلك او اكبر؛ وفي اعلاه قلعة صغيرة، وقصر السلطان. والسور يحيط بهذا الجبل، وهو مانع لا سبيل لاحد اليه من جهة البحر. وفيه نحو ثلاث عشرة قرية عامرة. والكنيسة العظيمة هي في وسط هذا القسم من المدينة.

واما القسم الثاني منها فيسمّى «الغَلَطَة»، وهو بالعدوة الغربية من النّهر شبيه برباط الفتح (١ في قربه من النهر. وهذا القسم خاصّ بنصارى الافرنج يسكنونه، وهم اصناف: فمنهم الجنويّون، والبنادقة، واهل

---

١) رباط الفتح: مدينة في مراكش

رومة ، واهل افرنسة . وحكمهم الى ملك القسطنطينية يقدم عليهم منهم من يرتضونه ، ويسمّونه « القُمِص »(١) . وعليهم وظيفة لملك القسطنطينية . وربما استعصوا عليه ، فيحاربهم حتى يصلح بينهم البابة . وجميعهم اهل تجارة ، ومرساهم من اعظم المراسي رأيت به نحو مائة جفن من القراقر(٢) وسواها من الكبار . واما الصغار فلا تحصى كثرة . واسواق هذا القسم حسنة الا ان الاقذار غالبة عليها .

ذكر الكنيسة العظمى

وانما نذكر خارجها ، واما داخلها فلم اشاهده . وهي تسمّى عندهم « ايا صوفيا » . ويُذكر انها من بناء آصف بن بَرَخياء ، وهو ابن خالة سليمان (عم) . وهي من اعظم كنائس الروم ، وعليها سور يطيف بها فكأنها مدينة . وابوابها ثلاثة عشر باباً ، ولها حرم هو نحو ميل عليه باب كبير . ولا يُمنع احد من دخوله ، وقد دخلته مع والد الملك ، الذي يقع ذكره ؛ وهو شبه مِشوَر مسطَّح بالرخام ، وتشقّه ساقية تخرج من الكنيسة ، لها حائطان مرتفعان نحو ذراع ، مصنوعان بالرخام المجزّع ، المنقوش باحسن صنعة . والاشجار منتظمة عن جهتي الساقية . ومن باب الكنيسة الى باب هذا المشوَر معرّش من الخشب ، مرتفع ، عليه دوالي العنب ، وفي اسفله الياسمين والرياحين . وخارج باب هذا المشور قبة خشب كبيرة ، فيها طبلات

---

١) القُمِص : تصحيف « كومِس » اللاتينية ، ومنها لفظة الكونت
٢) القراقر : المراكب الكبيرة

خشب، يجلس عليها خدّام ذلك الباب. وعن يمين القبة مصاطب وحوانيت، اكثرها من الخشب، يجلس بها قضاتُهم، وكتّاب دواوينهم. وفي وسط تلك الحوانيت قبة خشب يصعد اليها على درج خشب، وفيها كرسي خشب مطبق بالملفّ، يجلس فوقه قاضيهم. وعن يسار القبة التي على باب هـذا المشوَر سوق العطّارين. والساقية التي ذكرناها تنقسم قسمين: احـدها يمرُّ بسوق العطّارين، والآخر يمرُّ بالسوق، حيث القضاة والكتّاب.

وعلى باب الكنيسة سقائف يجلس بها خدّامها، الـذين يقمّون(١ طرقها، ويوقدون سرجها، ويغلقون ابوابها. ولا يدعون احداً يدخلها حتى يسجد للصليب الاعظم عندهم، الذي يزعمون انه بقية من الخشبة التي صُلب عليها شبيه عيسى(٢ (عم)، وهو على باب الكنيسة مجعول في جعبة ذهب طولها نحو عشرة اذرع؛ وقد عرَضوا عليها جعبة ذهب مثلها حتى صارت صليباً. وهذا الباب مصفّح بصفائح الفضة والذهب. وحلقتاه من الذهب الخالص.

وذُكر لي ان عدد من بهذه الكنيسة من الرهبان والقسّيسين ينتهي الى آلاف، وان بعضهم من ذرّية الحواريّين. وان بداخلها كنيسة مختصّة بالنساء فيها، من الابكار المنقطعات للعبادة، ازيد من الف. واما القواعد(٣ من النساء فاكثر من ذلك كلّه.

ومن عادة الملك، وارباب دولته، وسائر النـاس، ان يأتوا كل يوم

---

١) يقمّون: يكنسون، وينظفون

٢) شبيه عيسى: لان الاسلام يعتقدون ان المصلوب غير المسيح، وهو رجل يشبهه استبدله به الله

٣) القواعد: النساء المسنّات من الارامل

صباحاً الى زيارة هـذه الكنيسة . ويأتي اليها البابة مرّة في السنة . واذا كان على مسيرة اربع من البلد ، يخرج الملك الى لقائه ويترجّل له . وعند دخوله المدينة ، يمشي بين يديه ، على قدميه ؛ ويأتيه صباحاً ومساء ، للسلام عليه ، طول مقامه بالقسطنطينية حتى ينصرف .

ثم يذكر « المانستارات » وهي تصحيف « مونا ستير » اي دير ؛ وما فيها من الرهبان والراهبات؛ وعاداتهم

ذكر الملك المترهّب جرجيس

وهـذا الملك ولّى الملك لابنه ، وانقطع للعبادة ، وبنى مـانستاراً خارج المدينة على ساحلها . وكنت يوماً مع الرومي ، المعيّن للركوب معي ، فـاذا بهذا الملك ماشياً على قدميه ، وعليه المسوح ، وعلى رأسه قلنسوة لبد ، وله لحية بيضاء طويلة ، ووجه حسن عليه اثر العبادة . وخلفه وامامه جماعة من الرهبان . وبيده عكاز ، وفي عنقه سُبحة . فلما رآه الرومي نزل ، وقال لي : « انزل ، فهذا والد الملك » . فلما سلّم عليه الرومي ، سأله عني . ثم وقف ، وبعث عني(١) ، فجئت اليه . فاخذ بيدي ، وقـال لذلك الرومي ، وكان يعرف اللسان العربي : « قل لهذا السراكنو (يعني المسلم) انا أُصافح اليـد ، التي دخلت بيت المقدس ، والرِّجـل التي مشت داخل الصخرة ، والكنيسة العظمى التي تسمّى قمامة ، وبيت لحم » . وجعل يده على قدمي ، ومسح بها وجهه . فعجبت من اعتقادهم فيمن دخل تلك المواضع من غير ملتهم . ثم اخـذ بيدي ، ومشيت معه . فسألني عن بيت المقدس ، ومن فيه من النصارى واطـال السؤال . ودخلت معـه الى حرم الكنيسة ، الذي

---

١) بعث عني : يستعمل ابن بطوطة هذا التعبير بمعنى : ارسل في طلبي . ولم يعهد تعدية « بعث » بـ « عن »

وصفناه آنفاً. ولما قارب الباب الاعظم، خرجت جماعة من القسّيسين والرهبان للسلام عليه، وهو من كبارهم في الرهبانية. ولما رآهم، ارسل يدي، فقلت له: «أُريد الدخول معك الى الكنيسة» فقال للترجمان: قُل له: «لا بدّ لداخلها من السجود للصليب الاعظم. فان هذا مما سنّه الاوائل، ولا يمكن خلافه». فتركته ودخل وحده، ولم اره بعدها.

ثم يذكر قاضي القسطنطينية، وينصرف من هذه المدينة راجعاً الى السرا، عاصمة السلطان اوزبك، بعد ان تصله الخاتون صلةً حسنة

الفصل الثاني عشر

خوارزم — خراسان — افغانستان

ترك ابن بطوطة مدينة السرا قاصداً بلاد خوارزم، فمرّ بمدينة سراجوق، ثم سار «ثلاثين يوماً سيراً جادّاً» الى ان وصل مدينة خوارزم «وهي اكبر مدن الاتراك، واعظمها، واجملها، واضخمها» فذكر اميرها وامرأته، وقاضيها، وبطيخها

ذكر بطيخ خوارزم

وبطيخ خوارزم لا نظير له في الدنيا، شرقاً ولا غرباً، الا ما كان من بطيخ بُخارى، ويليه بطيخ اصفهان[1]. وقشره اخضر، وباطنه احمر،

---

1) راجع ذكر بطيخ اصفهان (ص: ٦٠)

وهو صادق الحلاوة، وفيه صلابة. ومن العجائب انه يُقدَّد ويُيبَّس في الشمس، ويجعل في القواصر، كما يُصنع عندنا بالشريحة، وبالتين المالقي. ويحمل من خوارزم الى اقصى بلاد الهند والصين. وليس في جميع الفواكه اليابسة اطيب منه. وكنت ايام اقامتي بدهلي، من بلاد الهند، متى قدم المسافرون، بعثت من يشتري لي منهم قديدَ البطيخ. وكان ملك الهند، اذا أُتي اليه بشيء منه، بعث اليَّ به، لما يعلم من محبّتي فيه ومن عادته انه يُطرف الغرباء بفواكه بلاده، ويتفقّدهم بذلك.

وسار من خوارزم الى بُخارى ثمانية عشر يوماً في بريّة لا عمارة بها الا مدينة الكات فوصل الى بُخارى وكانت خراباً الا القليل. وهنا ذكر تولّي التتر عليها مبتدئاً بتنكيزخان (او جنكيزخان). ثم ذكر سلطان ما وراء النهر واسمه طَرْمَشيرين فاقام عنده ابن بطوطة ٥٤ يوماً، وبعد ان اعطاه السلطان ٧٠٠ دينار دراهم وفروة سمّور تساوي مائة دينار وفرسين وجملين انصرف قاصداً

سَمَرْقند

وهي من اكبر المدن، واحسنها، واتمها جمالاً، مبنية على شاطئ وادٍ، يُعرف « بوادي القصّارين » عليه النواعير تسقي البساتين، وعنده يجتمع اهل البلد، بعد صلاة العصر، للنزهة والتفرُّج. ولهم عليه مساطب، ومجالس يقعدون عليها، ودكاكين تُباع فيها الفاكهة، وسائر المأكولات. وكانت على شاطئه قصور عظيمة، وعمارة تُنبئ عن علوّ همم اهلها، فدَثَر اكثر ذلك، وكذلك المدينة، خرب كثير منها؛ ولا سور لها ولا ابواب عليها، وفي داخلها البساتين.

واهل سمرقند لهم مكارم اخلاق، ومحبة في الغريب، وهم خير من اهل بُخارى...

ترمذ

ثم وصلنا الى مدينة ترمذ، التي يُنسب اليها الامام ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (١ مؤلف « الجامع » الكبير في السنن. وهي مدينة كبيرة، حسنة العمارة والاسواق، تخترقها الانهار. وبها البساتين الكثيرة، والعنب، والسفرجل بها كثير متناهي الطيب. واللحوم بها كثيرة، وكذلك الالبان. واهلها يغسلون رؤوسهم، في الحمّام، باللبن عوضاً من الطِفل (٢ ويكون عند كل صاحب حمّام اوعية كبار، مملوءة لبناً. فاذا دخل الرجل الحمّام، اخذ منها في اناء صغير، فغسل رأسه، وهو يرطب شعره ويصقله. واهل الهند يجعلون في رؤوسهم، زيت السمسم ويسمّونه «السيراج»، ويغسلون الشعر بعده بالطفل، فينعم الجسم، ويصقل الشعر ويطيله، وبذلك طالت لحى اهل الهند ومن سكن معهم.

وكانت مدينة الترمذ القديمة مبنية على شاطئ جيحون، فلما خربها تنكيز، بُنيت هذه الحديثة، على ميلين من النهر...

بلاد خُراسان – بَلخ

ثم اجزنا نهر جيحون الى بلاد خُراسان. وسرنا بعد انصرافنا من ترمذ، واجازة الوادي، يوماً ونصف يوم في صحراء ورمال لا عمارة بها الى مدينة بلخ.

وهي خاوية على عروشها، غير عامرة؛ ومن رآها ظنّها عامرة، لاتقان

---

١) ابو عيسى الترمذي († ٨٩٢) وُلد في بوش، قرب ترمذ، وفيها مات؛ كان تلميذ البخاري (٨١٠ – ٨٧٠). وقد طبع كتابه «الجامع» المذكور في بولاق

٢) الطفل : نوع من الحوّارى

بنـائها . وكانت ضخمة فسيحة ، ومساجدها ومدارسها باقية الرسوم حتى الان ، ونقوش مبانيها مدخلة باصبغة اللازورد، والناس ينسبون اللازورد الى خُراسان ، وانما يُجلب من جبال بَدَخشان ، التي يُنسب اليها الياقوت البدَخشي ، والعامّة يقولون : البلخش .

وخرّب هذه المدينة تنكيز اللعين ، وهدم من مسجدها نحو الثلث ، بسبب كنز ذُكر له انه تحت سارية من سواريه . وهو من احسن مساجد الدنيا ، وافسحها . ومسجد رباط الفتح ، بالمغرب ، يشبهه في عظم سواريه . ومسجد بلخ اجمل منه في سوى ذلك .

وسار من هناك في جبال قوه استان ، الى مدينة هراة ، فمدينة الجام

طوس — مشهد الرضى

ثم سافرنا من الجـام الى مدينة طوس ، وهي اكبر بـلاد خُراسان واعظمها ، بلد الامام الشهير ابي حامد الغزالي (١ (رضه) وبها قبره .

ورحلنا منها الى مدينة مشهد الرضى ، وهو علي بن موسى الكاظم ، ابن جعفر الصادق ، بن محمد البـاقر ، بن علي زين العابدين ، بن الحسين الشهيد ، بن امـير المؤمنين علي بن ابي طالب ، رضي الله عنهم . وهي ايضاً مدينة كبيرة ضخمة كثيرة الفواكه ، والمياه ، والارحاء الطاحنة .

قبر الرضى وقبر هارون الرشيد

والمشهد المكرّم عليه قبـة عظيمة ، في داخل زاوية ، وتجـاورها

١) الغزالي هو من اعظم فلاسفة الاسلام في المشرق . ولد في طوس سنة١٠٥٩ وتوفي في نيسابور ، في ١٩ كانون الاول ١١١١ تاركاً عدّة تآليف في الفلسفة والدين اشهرها : «احياء علوم الدين» و«ايها الولد» و«تهافت الفـلاسفة» وكلها نفيسة جعلت لصاحبها لقب«حجة الدين»

مدرسة ومسجد، وجميعها مليح البناء، مصنوع الحيطان بالقاشاني. وعلى القبر دكانة خشب، ملبسة بصفائح الفضة، وعليه قناديل فضة معلقة. وعتبة باب القبة فضة، وعلى بابها ستر حرير مذهب، وهي مبسوطة بانواع البُسُط.

وازاء هذا القبر، قبر هارون الرشيد، امير المؤمنين (رضه) وعليه دكانة يضعون عليها الشمعدانات، التي يعرفها اهل المغرب، بالحسك، والمنائر.

واذا دخل الرافضي للزيارة، ضرب قبر الرشيد برجله، وسلّم على الرضى.

ورحل من هناك الى سَرَخس، فنيسابور، فبسطام، فقندوس وبغلان، فجبل هندوكوش، «ومعناه قاتل الهنود، لان العبيد والجواري الذين يؤتى بهم من بلاد الهند، يموت هناك الكثير منهم، لشدّة البرد وكثرة الثلج»، فبنج هير، فبَرْوَن، فالجرخ

بلاد افغانستان وكابول

مدينة غزنة

ثم سافرنا الى مدينة غزنة، وهي بلد السلطان المجاهد محمود بن سَبكتكين الشهير الاسم، وكان من كبار السلاطين، يلقَّب «بيمين الدولة». وكان كثير الغزو الى بلاد الهند، وفتح بها المدائن والحصون. وقبره بهذه المدينة عليه زاوية. وقد خرب معظم هذه البلدة ولم يبقَ منها الا يسير، وكانت كبيرة. وهي شديدة البرد، والساكنون بها يخرجون عنها ايام البرد، الى مدينة القندهار، وهي كبيرة مخصبة، ولم ادخلها؛ وبينهما مسيرة ثلاث.

كابُل–الافغان

ثم سافرنا الى كابلُ، وكانت، فيما سلف، مدينة عظيمة . وبها الان قرية يسكنها طائفة من الاعاجم يقال لهم : « الأفغان » . ولهم جبال وشعاب وشوكة قويّة، واكثرهم قطّاع الطريق.

الفصل الثالث عشر

السند — الهند

وترك كابُل فنزل ششنغار، «وهي آخر العمارة مما يلي بلاد الترك»

في الصحراء

ومن هنالك دخلنا البرية الكبرى، وهي مسيرة خمس عشرة، لا تُدخل الا في فصل واحد، وهو بعد نزول المطر بارض السِند والهند. وذلك في اوائل شهر يولية، وتهبُ في هذه البرّية، ريح السموم القاتلة التي تعفّن الجسوم حتى ان الرجل، اذا مات، تتفسّخ اعضاؤه . . . وكانت تقدّمت امامنا رفقة كبيرة فيها خذاوند زاده قاضي تِرمذ، ففات لهم جمال وخيل كثيرة . ووصلت رفقتنا سالمة، بحمد الله تعالى، الى بنج آب وهو ماء السند . وكان وصولنا الى هذا النهر، سلخ ذي الحجة، واستهلّ علينا تلك الليلة هلال المحرّم من عام اربعة وثلاثين وسبعمائة (١ . ومن

١) الموافق ١٢ ايلول ١٣٣٣

هنـــالك كتب المخبرون بخبرنا الى ارض الهند، وعرّفوا ملكها بكيفية احوالنا.

وها هنا ينتهي بنا الكلام في هذا السفر، والحمد لله رب العالمين.

وهذا ختام الجزء الاول من الرحلة؛ بدء الجزء الثاني بذكر نهر السند بنج آب؛ «وهو اول عمالة السلطان المعظم محمد شاه؛ ملك الهند والسند». ومن هناك اتجه الرحالة نحو مُلتان ودهلي

ذكر الكركدّن

ولمــا اجزنا نهر السند المعروف ببنج آب، دخلنا غيضة قصب لسلوك الطريق، لانه في وسطها. فخرج علينا الكركدّن، وصورته: انه حيوان، اسود اللون، عظيم الجرم، رأسه كبير متفاوت الضخامة. ولذلك يُضرب به المثل فيقال: «الكركدّن، رأس بلا بدن!» وهو دون الفيل، ورأسه اكبر من رأس الفيل باضعاف، وله قرن واحد بين عينيه طوله نحو ثلاثة اذرع، وعرضه نحو شبر. ولما خرج علينا عارضه بعض الفرسان في طريقه، فضرب الفرس الذي كان تحته، بقرنه، فانفذ فخذه وصرعه. وعاد الى الغيضة، فلم نقدر عليه. وقد رأيت الكركدّن مرّة ثانية، في هـــذا الطريق، بعد صلاة العصر، وهو يرعى نبـــات الارض. فلما قصدناه هرب منـــا. ورأيته مرّة أخرى، ونحن مع ملك الهند، دخلنـــا غيضة قصب، وركب السلطان على الفيل، وركبنا معه الفيلة. ودخلت الرجالة والفرسان، فاثاروه وقتلوه، واستاقوا رأسه الى المحلة.

وسار الى مدينة جناني وفيها طائفة السامرة

السامرة

لا يأكلون مع احد، ولا ينظر اليهم احد حين يأكلون. ولا يصاهرون احداً من غيرهم، ولا يصاهر اليهم احد.

سيوستان

وهي مدينة كبيرة، وخارجها صحراء ورمال، لا شجر بها الا شجر ام غيلان. ولا يزدرع على نهرها شيء ما عدا البطيخ. وطعامهم الذرة والجلبان، ويسمونه «المُشْنك»، ومنه يصنعون الخبز. وهي كثيرة السمك، والالبان الجاموسية. واهلها يأكلون السقنقور، وهي دويبة شبيهة بام حُبين (١ التي يسميها المغاربة «حُنيشة الجنة» الا انها لا ذنب لها. ورأيتهم يحفرون الرمل، ويستخرجونها منه، ويشقون بطنها ويرمون بما فيه، ويحشونه بالكركم (٢، وهم يسمونه «زرد شوبه» ومعناه: «العدد الاصفر» وهو عندهم عوض الزعفران. ولما رأيت تلك الدويبة وهم يأكلونها، استقذرتها فلم آكلها.

ودخلنا هذه المدينة، في احتدام القيظ، وحرّها شديد. فكان اصحابي يقعدون عريانين، يجعل احدهم فوطة على وسطه، وفوطة على كتفيه، مبلولة بالماء، فما يمضي اليسير من الزمان حتى تيبس تلك الفوطة، فيبلها مرة أخرى هكذا ابداً.

---

١) اي الحرباء

٢) الكُركُم: نوع من النبات ينبت في البلاد الحارّة ويزهر في عناقيد صفراء

ويسير من هناك في نهر السند (الاندوس) الى مدينة لاهري «وبها يصب نهر السند في البحر»

ذكر غريبة رأيتها بخارج هذه المدينة

وركبت يوماً مع علاء الملك (امير لاهري) فانتهينا الى بسيط من الارض على مسافة سبعة اميال منها يُعرف «بتارنا» فرأيت هنالك ما لا يحصره العدّ من الحجارة، على مثل صور الآدميين، والبهائم. وقد تغيّر كثير منها ودثرت اشكاله، فيبقى منه صورة رأس، او رجل، او سواهما. ومن الحجارة ايضاً على صور الحبوب من البرّ، والحمص، والفول، والعدس. وهنالك آثار سور، وجدران دور. ثم رأينا رسم دار فيها بيت من حجارة منحوتة. وفي وسطه دكانة حجارة منحوتة، كأنها حجر واحد، عليها صورة آدمي. الا ان رأسه طويل، وفمه في جانب من وجهه، ويداه خلف ظهره كالمكتوف. وهنالك ميـاه شديدة النتن، وكتابة، على بعض الجدران، بالهندي. واخبرني علاء الملك ان اهل التاريخ يزعمون ان هذا الموضع كانت فيه مدينة عظيمة، اكثرَ اهلها الفساد فمُسخوا حجارة؛ وان ملكهم هو الذي على الدكانة، في الدار التي ذكرناها. وهي الى الان تسمّى: «دار الملك»؛ وان الكتابة التي في بعض الحيطان هنالك بالهندي، هي تاريخ هلاك اهل تلك البلاد. وكان ذلك منذ الف سنة او نحوها.

ثم سار الى مدينة بَكار، فدينة أُوجه، فمُلتان، «قاعدة بلاد السند، ومسكن امير امرائه» فذكر اميرها قطب الملك وما اهداه اياه. وبعد ان اقام هناك مدّة شهرين سافر متجهاً الى دِهلي

١

ذكر اشجار بلاد الهند وفواكهها

العَنْبَة

فمنها العنبة ، وهي شجرة تشبه اشجار النارنج الا انها اعظم اجراماً ، واكثر اوراقاً ، وظلها اكثر الظلال ، غير انه ثقيل ، فمن نام تحته وُعك . وثمرها على قدر الاجاص الكبير . فاذا كان اخضر قبل تمام نضجه ، اخذوا ما سقط منه ، وجعلوا عليه الملح ، وصيّروه كما يصيّر الليم(١ والليمون ببلادنا . وكذلك يصيّرون ايضاً الزنجبيل الاخضر ، وعناقيد الفلفل ، ويأكلون ذلك مع الطعام ، يأخذون بأثر كل لقمة يسيراً من هذه المملوحات . فاذا نضجت العنبة في اوان الخريف ، اصفرّت حبّتها فأكلوها كالتفاح . فبعضهم يقطعها بالسكين ، وبعضهم يمصّها مصاً . وهي حلوة يمازج حلاوتها يسير حموضة . ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت منها الاشجار ، كما تزرع نوى النارنج وغيرها .

الشكي والبَركي

ومنها الشكي والبركي ، وهي اشجار عادية ، اوراقها كاوراق الجوز ، وثمرها يخرج من اصل الشجرة . فما اتصل منه بالارض فهو البركي ، وحلاوته اشدّ ، ومطعمه اطيب ، وما كان فوق ذلك ، فهو الشكي ، وثمره يشبه القرع الكبار ، وجلده تشبه جلود البقر . فاذا اصفرّ ، في اوان الخريف ، قطعوه ، وشقوه ، فيكون في داخل كل حبة ، المائة والمائتان فما

---

١) اي الليمون الحلو

بين ذلك من حبات تشبه الخيار ، بين كل حبة وحبة صفاق اصفر اللون. ولكل حبة نواة تشبه الفول الكبير، واذا شويت تلك النواة او طبخت، يكون طعمها كطعم الفول، اذ ليس يوجد هنالك. ويدخرون هذه النوى في التراب الاحمر فتبقى الى سنة أخرى. وهذا الشكي والبركي هو خير فاكهة ببلاد الهند.

التَّنْدُو

ومنها التندو، وهو ثمر شجر الابنوس، وحباته في قدر حبات المشمش ولونها، شديد الحلاوة.

الجُمون

ومنها الجمون، واشجاره عادية، ويشبه ثمره الزيتون، وهو اسود اللون، ونواه واحدة كالزيتون.

النارنج الحلو

ومنها النارنج الحلو، وهو عندهم كثير. واما النارنج الحامض فعزيز الوجود. ومنه صنف ثالث يكون بين الحلو والحامض، وثمره على قدر الليم، وهو طيب جداً، وكنت يعجبني اكله.

المَهوَا

ومنها المهوا، واشجاره عاديّة، واوراقه كاوراق الجوز، الا ان فيها حمرة وصفرة. وثمره مثل الاجاص الصغير، شديد الحلاوة. وفي اعلى كل حبة منه، حبة صغيرة بمقدار حبة العنب مجوّفة، وطعمها كطعم العنب. الّا ان الاكثار من اكلها يُحدث في الرأس صداعاً. ومن العجب ان هذه

الحبوب، اذا يبست في الشمس، كان مطعمها كطعم التين، وكنت آكلها عوضاً من التين اذ لا يوجد ببلاد الهند. وهم يسمون هذه الحبة «الأنكور» وتفسيره بلسانهم «العنب»، والعنب بارض الهند عزيز جداً، ولا يكون بها الا في مواضع بحضرة دهلي، ببلاد أخر. ويثمر (المهوا) مرتين في السنة، ونوى هذا الثمر يصنعون منه الزيت ويستصبحون به.

كسيرا

ومن فواكههم فاكهة يسمّونها «كسيرا» يحفرون عليها الارض، وهي شديدة الحلاوة، تشبه القسطل (١.

وببلاد الهند من فواكه بلادنا الرمّان، وهو يثمر مرّتين في السنة، ورأيته ببلاد جزائر ذيبة المهل، لا ينقطع له ثمر. وهو يسمّونه «أنار»، واظن ذلك هو الاصل في تسمية الجلنار فان «جل» بالفارسية «الزهر» و «أنار» «الرمان».

ذكر اهل الهند الذين يحرقون انفسهم بالنار

رأيت الناس يهرعون من عسكرنا، ومعهم بعض اصحابنا، فسألتهم: «ما الخبر؟» فاخبروا ان كافراً من الهنود مات، وأجّجت النار لحرقه، وامرأته تحرق نفسها معه. ولما احترقا، جاء اصحابي واخبروا انها عانقت الميت حتى احترقت معه. وبعد ذلك كنت، في تلك البلاد، ارى المرأة من كفّار الهنود متزينة، راكبة، والناس يتبعونها، من مسلم وكافر،

---

١) القسطل: الكستنا

والاطبـال والابواق بين يديها ، ومعها البراهمة ، وهم كبراء الهنود. واذا كان ذلك ببـلاد السلطان، استأذنوا السلطان في احراقها ، فيأذن لهم ، فيحرقونها .

ثم اتفق بعد مدة اني كنت بمدينة ، اكثر سكانها الكفار ، تُعرف « بأمجري » ، واميرها مسلم من سامرة السند ، وعلى مقربة منها الكفار العصاة ، فقطعوا الطريق يوماً ؛ وخرج الامير المسلم لقتالهم ، وخرجت معه رعية من المسلمين والكفار . ووقع بينهم قتال شديد مات فيه من رعية الكفار سبعة نفر . وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجات . فاتفقن على احراق انفسهنّ . واحراق المرأة بعد زوجها عندهم امرٌ مندوبٌ اليه(١) ، غير واجب . لكن من احرقت نفسها ، بعد زوجها ، احرز اهـل بيتها شرفاً بذلك ، ونُسبوا الى الوفاء . ومن لم تحرق نفسها ، لبست خشن الثياب ، واقامت عند اهلها بائسة ممتهنة ، لعدم وفائها ؛ ولكنها لا تُكره على احراق نفسها .

ولما تعاهدت النسوة الثلاث ، اللائي ذكرناهنّ ، على احراق انفسهنّ ، اقمن قبل ذلك ثلاثة ايام في غنـاء وطرب ، واكل وشرب ، كأنهنّ يودّعن الدنيا ، ويأتي اليهنّ النساء من كل جهة . وفي صبيحة اليوم الرابـع ، أُتيت كل واحدة منهنّ بفرس ، فركبته ، وهي متزيّنة ، متعطّرة ، وفي يمناها جوزة نارجيل تلعب بها ، وفي يسراها مرآة تنظر فيها وجهها . والبراهمة يحفّون بها ، واقاربها معها ، وبـين يديها الاطبال والابواق والانفار . وكل انسان من الكفار يقول لها : « ابلغي السلام الى ابي ، او اخي ، او امي ، او صاحبي » . وهي تقول : « نعم » . وتضحك اليهم .

---

١) مندوب اليه : اي مشار به

وركبت مع اصحابي لارى كيفية صنعهنّ في الاحتراق، فسرنا معهن نحو ثلاثة اميـال، وانتهينا الى موضع مظلم، كثير الميـاه والاشجار، متكاثف الظلال، وبين اشجاره اربع قباب في كل قبة صنم من الحجارة، وبين القباب صهريج ماء قد تكاثفت عليه الظلال، وتزاحمت الاشجار، فلا تتخللها الشمس. فكأنّ ذلك الموضع بقعة من بقع جهنّم، اعاذنا الله منها.

ولمـا وصلتُ الى تلك القباب، نزلنَ الى الصهريج وانغمسنَ فيه، وجرّدنَ ما عليهنّ من ثياب وحلي، فتصدّقن به. وأُتيت كل واحدة منهنّ بثوب قطن خشن، غير مخيط. فربطت بعضه على وسطها، وبعضه على رأسها، وكتفيها. والنيران قد أُضرمت على قربٍ من ذلك الصهريج، في موضع منخفض، وصُبّ عليها روغن كنجت، وهو زيت الجلجلان (١)، فزاد في اشتعالهـا. وهنالك نحو خمسة عشر رجلاً بايديهم حزم من الحطب الرقيق، ومعهم نحو عشرة بايديهم خشب كبار. واهل الاطبال والابواق وقوف ينتظرون مجيء المرأة. وقـد حجبت النار بلحفة يمسكها الرجال بايديهم، لئـلا يدهشها النظر اليها. فرأيت احداهنّ، لما وصلت الى تلك اللحفة، نزعتها من ايدي الرجال بعنف، وقالت لهم: «مارا ميترسانى از اطش من ميدانم او اطش است رها كنى مارا» وهي تضحك. ومعنى هذا الكلام: «أبالنـار تخوّفونني؟ انا اعلم انها نار محرقة». ثم جمعت يديها على رأسها خدمةً للنـار، ورمت بنفسها فيها. وعند ذلك ضربت الاطبال والانفار والابواق، ورمى الرجال مـا بايديهم من الحطب عليها، لئـلّا تتحرّك.

---

(١) اي زيت السمسم

وارتفعت الاصوات، وكثر الضجيج. ولما رأيت ذلك كدت اسقط عن فرسي، لولا اصحابي تداركوني بالماء، فغسلوا وجهي، وانصرفت.

ثم سافر الى سرستي، ومسعود اباد، ويلم الى ان دخل مدينة دهلي، حضرة ملك الهند

ذكر وصفها

ومدينة دهلي كبيرة الساحة، كثيرة العمارة، وهي الان اربع مدن متجاورات متصلات:

احداها المسماة بهذا الاسم دهلي، وهي القديمة، من بناء الكفار. وكان افتتاحها سنة اربع وثمانين وخمسمائة (١).

والثانية تسمى سيري، ودار الخلافة، وهي التي اعطاها السلطان لغياث الدين، حفيد الخليفة المستنصر العباسي، لما قدم عليه. وبها كان سكنى السلطان علاء الدين، وابنه قطب الدين.

والثالثة تسمى تُغلق أباد باسم بانيها، السلطان تُغلق، والد سلطان الهند الذي قدمنا عليه. وكان سبب بنائه لها انه وقف يوماً بين يدي السلطان قطب الدين فقال له: «يا خوند عالم، كان ينبغي ان تبني هنا مدينة!» فقال له السلطان متهكماً: «اذا كنت سلطاناً، فابنها» فكان، من قدر الله، أن كان سلطاناً، فبناها وسماها باسمه.

والرابعة تسمى جهان پناه، وهي مختصة بسكنى السلطان محمد شاه، ملك الهند الان، الذي قدمنا عليه. وهو الذي بناها. وكان اراد

---

(١) الموافقة: ١١٨٨ م

ان يضمّ هــذه المدن الاربع تحت سور واحد، فبنى منه بعضاً وترك بناء باقيه، لعظم ما يلزم في بنائه.

ويلي ذلك بحث مستفيض في سور دهلي، وابوابها، وجامعها، وفيه «الصومعة التي لا نظير لها في بلاد الاسلام» وعمرها واسع «بحيث تصعد فيه الفيلة». ويذكر حوضي المدينـة، وبعض مزاراتها، وبعض علمائها وصلحائها. ثم يتكلم عن فتح دهلي سنة ٥٨٤ هـ. (١١٨٨) وعن تداولهـا من الامراء، الى ان يذكر السلطان شمس الدين لَلْمِش، وابنــه السلطان ركن الدين، واخت هذا السلطان رضية، فاخاها السلطان ناصر الدين، فالسلطان غياث الدين بَلَبن، وحكايته الغريبة في وصوله الى الملك:

حكايته الغريبة

يُذكر ان احــد الفقراء ببخارى رأى بها بلَبن هذا، وكان قصيرًا، حقيرًا ذميماً. فقال له: «يا تركك»(١ وهي لفظة تُعرب عن الاحتقار. فقال له: «لبيك يا خوند»(٢ فاعجبه كلامه، فقال له: «اشترِ لي من هــذا الرمان». واشار الى رمان يُباع بالسوق، فقال: «نعم» واخرج فُليسات لم يكن عنده سواها، واشترى له من ذلك الرمان. فلما اخذها الفقــير قال له: «وهبناك مُلك الهند!» فقبّل بلَبن يدَ نفسه وقـــال: «قبلت، ورضيت». واستقرّ ذلك في ضميره.

واتفق ان بعث السلطان شمس الدين لَلْمِش تاجرًا يشتري له المماليك بسمرقند، وبُخارى، وترمذ. فاشترى مائة مملوك كان من جملتهم بَلَبن.

---

١) ومعناها: ايها التركي الصغير

٢) ومعناها: لبيك يا سيدي

فلما دخل بالمماليك على السلطان، اعجبه جميعهم الا بَلَبَن لما ذكرناه من دمامته، فقال: «لا اقبل هذا». فقال له بلبن: «يا خوند عالم، لمن اشتريت هؤلاء المماليك؟» فضحك منه وقال له: «اشتريتهم لنفسي» فقال له: «اشترني انا لله عزّ وجل». فقال: «نعم». وقبله، وجعله في جملة المماليك فاحتقر شأنه، وجُعل في السقائين.

وكان اهل المعرفة بعلم النجوم يقولون للسلطان شمس الدين: «ان احد مماليكك يأخذ الملك من يد ابنك، ويستولي عليه» ولا يزالون يُلقون ذلك، وهو لا يلتفت الى اقوالهم، لصلاحه وعدله. الى ان ذكروا ذلك للخاتون الكبرى، ام اولاده. فذكرت له ذلك، واثّر في نفسه، وبعث عن المنجمين، فقال: «اتعرفون المملوك الذي يأخذ ملك ابني اذا رأيتموه؟» فقالوا له: «نعم عندنا علامة نعرفه بها». فامر السلطان بعرض مماليكه، وجلس لذلك. فعُرضوا بين يديه، طبقةً طبقة، والمنجمون ينظرون اليهم، ويقولون: «لم نره بعد»

وحان وقت الزوال فقال السقّاؤون، بعضهم لبعض: «انا قد جعنا، فلنجمع شيئاً من الدراهم، ونبعث احدنا الى السوق ليشتري لنا ما نأكله. فجمعوا الدراهم، وبعثوا بها بلبن، اذ لم يكن فيهم احقر منهم. فلم يجد بالسوق ما ارادوه، فتوجّه الى سوقٍ اخرى، وابطأ. وجاءت نوبة السقائين في العرض، وهو لم يأتِ بعد. فأخذوا زقّه وماعونه، وجعلوهما على كاهل صبي، وعرضوه على انه بلبن. فلما نودي باسمه جاز الصبي بين ايديهم. وانقضى العرض، ولم يرَ المنجمون الصورة التي تطلبوها. وجاء بلبن، بعد تمام العرض، لما اراد الله من انفاذ قضائه.

ثم انه ظهرت نجابته ، فجعل امير السقّائين. ثم صار من جملة الاجناد. ثم من الامراء. ثم تزوّج السلطان ناصر الدين بنته ، قبل ان يلي الملك. فلما ولي الملك ، جعله نائباً عنه مدّة عشرين سنة. ثم قتله بلَبن واستولى على ملكه ، عشرين سنة اخرى.

ثم ذكر حفيد بَلَبن السلطان معزّ الدين ، فالسلطان جلال الدين ، فالسلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي ، فابنه السلطان شهاب الدين ، فاخاه السلطان قطب الدين ، فالسلطان خسرو خان ناصر الدين ، فالسلطان غياث الدين تُغلق شاه ، الى ان يوصل الى

ذكر السلطان ابي المجاهد محمد شاه بن السلطان غياث الدين تُغلق شاه ، ملك الهند والسند ، الذي قدمنا عليه

وهذا الملك احب الناس في اسداء العطايا ، واراقة الدماء. فلا يخلو بابه عن فقير يُغنى ، او حيّ يُقتل. وقد شُهرت في الناس حكايته ، في الكرم والشجاعة ، وحكايته في الفتك والبطش بذوي الجنايات. وهو اشدّ الناس مع ذلك تواضعاً واكثرهم اظهاراً للعدل والحق ، وشعائر الدين عنده محفوظة ، وله اشتداد في امر الصلاة والعقوبة على تركها. وهو من الملوك الذين اطّردت سعادتهم ، وخرق المعتاد يُمنُ نقيبتهم. ولكن الاغلب عليه الكرم.

ثم ذكر من اخباره العجائب والغرائب مبتدياً بالكلام عن مِشوره ، فترتيب جلوسه للناس ، فدخول الغرباء واصحاب الهدايا اليه ، فدخول هدايا عماله ، فخروجه للعيدين ، وجلوسه يوم العيد ، وذكر ترتيبه اذا قدم من سفره « فينصب الرّعادات

الصغار على الفيلة ترمي بالدنانير والدراهم على الناس فيلتقطونها ، من حين دخوله الى المدينة حتى وصوله الى قصره » الى غير ذلك مما انتقده عليه ابن خلدون (١
ويلي ذلك اخبار هذا السلطان في الجود والكرم، امثال الحكايات التي ذكرها في كلامه عن ملك شيراز فلتراجع (٢

ويختم بذكر فظائعه وفتكاته

ذكر فتكات هذا السلطان وما نُقم من افعاله

وكان على ما قدَّمنا من تواضعه ، وانصافه ، ورفقه بالمساكين ، وكرمه الخارق للعادة ، كثير التجاسر على اراقة الدماء ، لا يخلو بابه من مقتول ، الا في النادر . وكنت كثيراً ما ارى الناس يُقتلون على بابه ، ويُطرحون هنالك . ولقد جئت يوماً ، فنفر بي الفرس ، ونظرت الى قطعة بيضاء في الارض فقلت : « ما هذه ؟ » فقال بعض اصحابي : « هي صدر رجل قُطع ثلاث قطع » . وكان يعاقب على الصغيرة والكبيرة ، ولا يحترم احداً من اهل العلم والصلاح والشرف . وفي كل يوم ، يرد على المشور من المسلسلين ، والمغلولين ، والمقيدين ، مئون . فمن كان للقتل قُتل ، او للعذاب عُذِّب ، او للضرب ضُرب . وعادته ان يؤتى كل يوم بجميع من في سجنه من الناس الى المشور ، ما عدا يوم الجمعة ، فانهم لا يُخرَجون فيه ، وهو يوم راحتهم يتنظّفون فيه ويستريحون ، اعاذنا الله من البلاء .

---

١) راجع المقدمة (ص : ك)
٢) راجع (ص : ٦٣ و٦٤)

ذكر قتله لاخيه

وكان له اخ اسمه مسعود خان، وامه بنت السلطان علاء الدين. وكان من اجمل صورة رأيتها في الدنيا. فاتّهمه بالقيام عليه، وسأله عن ذلك، فاقرّ خوفاً من العذاب. فانه من انكر ما يدّعيه عليه السلطان من مثل ذلك، يعذّب. فيرى الناس ان القتل اهون عليهم من العذاب. فامر به فضُربت عنقه في وسط السوق، وبقي مطروحاً هنالك ثلاثة ايام على عادتهم.

ذكر تخريبة لدِهلي، ونفي اهلها، وقتل الاعمى والمُقعَد

ومن اعظم ما كان يُنقم على السلطان، اجلاؤه لاهل دِهلي عنها. وسبب ذلك انهم كانوا يكتبون بطائق فيها شتمه وسبّه، ويختمون عليها، ويكتبون عليها: «وحقّ راس خوند عالم، ما يقرأه غيره» ويرمونه بالمشور ليلاً. فاذا فضّها وجد فيها شتمه وسبّه. فعزم على تخريب دِهلي واشترى من اهلها جميعاً دورهم ومنازلهم، ودفع لهم ثمنها، وامرهم بالانتقال عنها الى دولة آباد. فابوا ذلك. فنادى مناديه ان لا يبقى بها احد بعد ثلاث.

فانتقل معظمهم، واختفى بعضهم في الدور. فامر بالبحث عمّن بقي بها، فوجد عبيدُه بازقتها، رجلين: احدهما مُقعد، والآخر اعمى. فاتوا بهما. فامر بالمُقعَد، فرُمي به في المنجنيق؛ وامر ان يُجرّ الاعمى من

دهْلي الى دولة أباد مسيرة اربعين يوماً. فتمزّق في الطريق، ووصل منه رجله. ولما فعل ذلك خرج اهلها جميعاً وتركوا اثقالهم وامتعتهم. وبقيت المدينة خاوية على عروشها.

فحدثني من اثق به قال: « صعد السلطان ليلةً الى سطح قصره فنظر الى دهْلي، وليس بها نار، ولا دخان، ولا سراج، فقال: « الآن طاب قلبي! وتهدّن خاطري! » ثم كتب الى اهل البلاد ان ينتقلوا الى دهْلي ليعمّروها. فخربت بلادهم، ولم تعمر دهلي لاتساعها وضخامتها، وهي اعظم مدن الدنيا ». وكذلك وجدناها لما دخلنا اليها، خالية ليس بها الاّ قليل عمارة.

ذكر الغلاء الواقع بارض الهند

وفي مدة مغيب السلطان عن حضرته، اذ خرج بقصد بلاد المعبّر، وقع الغلاء، واشتدّ الامر، وانتهى المنّ الى ستين درهماً ثم زاد على ذلك، وضاقت الاحوال وعظم الخطب. ولقد خرجت مرة الى لقاء الوزير، فرأيت ثلاث نسوة، يقطعنَ قطعاً من جلد فرس مات منذ اشهر، ويأكلنه وكانت الجلود تُطبخ وتُباع في الاسواق. وكان الناس، اذا ذُبحت البقر، اخذوا دماءها، فاكلوها. وحدثني بعض طلبة خراسان، انهم دخلوا بلدةً تسمّى أكروهة، بين حانسي وسرستي، فوجدوها خالية، فقصدوا بعض المنازل ليبيتوا به، فوجدوا في بعض بيوته، رجلاً قد اضرم ناراً وبيده رجل آدمي، وهو يشويها في النار ويأكل منها، والعياذ بالله.

ولما اشتدّت الحال، امر السلطان ان يُعطى لجميع اهل دهْلي

نفقة ستة اشهر . فكانت القضاة والكتاب والامراء يطوفون بالازقة والحارات ، ويكتبون الناس ؛ ويعطون لكل احد نفقة ستة اشهر بحساب رطل ونصف من ارطال المغرب (١ في اليوم لكل واحد . وكنت في تلك المدة ، اطعم الناس من الطعام الذي اصنعه بمقبرة السلطان قطب الدين . فكان الناس ينتعشون بذلك ، والله تعالى ينفع بالقصد فيه

وبعد ذلك يذكر ابن بطوطة حوادث تتعلق به خاصة : من مثل وفوده على السلطان ، وزيارته لدار ام السلطان وذكر فضائلها ، والمناحة التي حصلت لابنة ابن بطوطة المتوفاة وهي دون السنة من العمر ، واحسان السلطان اليه وتعيينه اياه قاضياً في مدينة دِهْلي الى غير ذلك مما يطول شرحه

زهد بن بطوطة

واذ كان ابن بطوطة في الهند دعاه داعي الترهد فوزع اموله على الفقراء وانفرد في احدى الزوايا . فارسل السلطان في طلبه

ذكر بعث السلطان عني ، وابايتي عن الرجوع الى الخدمة ، واجتهادي في العبادة

ولما بلغ السلطان خبر خروجي عن الدنيا ، استدعاني وهو يومئذ بسيوستان . فدخلت عليه في زيّ الفقراء ، فكلمني احسن كلام ، والطفه ؛ واراد مني الرجوع الى الخدمة . فأبيت ، وطلبت منه الاذن في السفر الى الحجاز . فأذن لي فيه . وانصرفت عنه ، ونزلت بزاوية تُعرف بالنسبة الى الملك بَشير ، وذالك في اواخر جمادى الثانية سنة اثنتين

(١ اي ما يقارب الكيلوغرام

واربعين (١ . فاعتكفت بها شهر رجب، وعشراً من شعبان. وانتهيت الى مواصلة خمسة ايام (٢ ، وافطرت بعدها على قليل ارز دون إدام. وكنت اقرأ القرآن كل يوم، واتهجّد بما شاء الله. وكنت اذا اكلت الطعام اذاني، فاذا طرحته وجدت الراحة. واقمت كذلك اربعين يوماً.

ثم طلبه السلطان ثانية ليرسله في رحلة الى الصين

الفصل الرابع عشر

على طريق الصين

ترك رحالتنا دهلي، وقصده بلاد الصين، حاملاً هدية لملكها من السلطان محمد شاه، ثم مرّ بمدينة بيانة، فمدينة كول حيث قاتل بعض كفار الهنود في نواحي مدينة الجلالي. ثم وقع في الأسر

ذكر محنتي بالاسر، وخلاصي منه، وخلاصي من شدة بعده على يد وليّ من اولياء الله تعالى

وفي بعض تلك الايام، ركبت في جماعة من اصحابي، ودخلنا بستاناً نقيل فيه، وذلك فصل القيظ. فسمعنا الصياح، فركبنا ولحقنا كفاراً

---

١) كانون الاول ١٣٤١

٢) اي مواصلة الصوم

لقاوروا على قرية من قرى الجلالي ، فأتبعناهم ؛ فتفرّقوا وتفرّق اصحابنا في طلبهم . وانفردت في خمسة من اصحابي ، فخرج علينا جملة من الفرسان والرجال من غيضة هنالك ، ففررنا منهم لكثرتهم . واتبعني نحو عشرة منهم ، ثم انقطعوا عني الّا ثلاثة منهم ، ولا طريق بين يدي ، وتلك الارض كثيرة الحجارة . فنشبت يد فرسي بين الحجارة ، فنزلت عنه ، واقتلعت يده ، وعدت الى ركوبه . والعادة بالهند ان يكون مع الانسان سيفان : احدهما معلّق بالسرج ويسمّى الركابي ، والآخر في التركش . فسقط سيفي الركابي ، من غمده ، وكانت حليته ذهباً ، فنزلت فاخذته وتقلّدته ، وركبت ، وهم في اثري . ثم وصلت الى خندق عظيم ، فنزلت ودخلت في جوفه ، فكان آخر عهدي بهم .

ثم خرجت الى دار في وسط شعراء (١ ملتفّة ، في وسطها طريق . فمشيت عليه ، ولا اعرف منتهاه . فبينا انا في ذلك ، خرج عليّ نحو اربعين رجلًا من الكفّار ، بايديهم القسي ، فاحدقوا بي . وخفت ان يرموني رمية رجل واحد ان فررت منهم ، وكنت غير متدرّع ؛ فالقيت بنفسي الى الارض واستأسرت . وهم لا يقتلون من فعل ذلك . فاخذوني ، وسلبوني جميع ما عليّ ، غير جبة وقيص وسروال . ودخلوا بي الى تلك الغابة ، فانتهوا بي الى موضع جلوسهم منها ، على حوض ماء بين تلك الاشجار ، واتوني بخبز ماش ، وهو الجلبان ، فاكلت منه وشربت من الماء .

وكان معهم مسلمان كلماني بالفارسية ، وسألاني عن شأني . فاخبرتهما ببعضه ، وكتمتهما اني من جهة السلطان . فقالا لي : « لا بدّ ان يقتلك

---

١) اي غابة صغيرة

هؤلاء ، او غيرهم . ولكن هذا مقدّمهم . »واشارا الى رجل منهم . فكلّمته ، بترجمة المسلمين ، وتلطّفت له . فوكّل بي ثلاثة منهم : احدهم شيخ ، ومعه ابنه ، والآخر اسود خبيث . وكلمني اولئك الثلاثة ، ففهمت منهم انهم أُمروا بقتلي . فاحتملوني عشي النهار الى كهف . وسلّط الله على الاسود منهم ، حمّى مرعدة ؛ فوضع رجليه عليّ ، ونام الشيخ وابنه . فلما اصبح ، تكلّموا فيما بينهم ، واشاروا اليّ بالنزول معهم الى الحوض . وفهمت انهم يريدون قتلي . فكلمت الشيخ ، وتلطفت اليه ، فرقّ لي . وقطعت كمّي قميصي ، واعطيته اياهما ، لكي لا يأخذه اصحابه فيّ ، ان فررت .

ولما كان عند الظهر ، سمعنا كلاماً عند الحوض ، فظنّوا انهم اصحابهم . فاشاروا اليّ بالنزول معهم ، فنزلنا ووجدنا قوماً آخرين . فاشاروا عليهم ان يذهبوا في صحبتهم ، فابوا . وجلس ثلاثتهم امامي ، وانا مُواجه لهم . ووضعوا حبل قنّب كان معهم بالارض . وانا انظر اليهم واقول في نفسي : « بهذا الحبل يربطونني عند القتل . » واقمت كذلك ساعة . ثم جاء ثلاثة من اصحابهم الذين اخذوني ، فتكلّموا معهم ، وفهمت انهم قالوا لهم : « لايّ شيء ما قتلتموه ؟ » فاشار الشيخ الى الاسود كانه اعتذر بمرضه . وكان احد هؤلاء الثلاثة شاباً حسن الوجه ، فقال لي : « أتريد ان اسرّحك ؟ » فقلت : « نعم » فقال : « اذهب ! » فاخذت الجبّة ، التي كانت عليّ ، فاعطيته اياها . واعطاني مُنَيَّرة (١ بالية عنده . وارانى الطريق ، فذهبت . وخفت ان يبدو لهم فيدركوني ، فدخلت غيضة قصب ، واختفيت فيها الى ان غابت الشمس . ثم خرجت وسلكت الطريق التي

---

١) منيّرة : رداء ازرق

ارانيها الشاب، فأفضت بي الى ماء، فشربت منه . وسرت الى ثلث الليل، فوصلت الى جبل فنمت تحته . فلما اصبحت، سلكت الطريق، فوصلت ضحىً الى جبل من الصخر عالٍ، فيه شجر ام غيلان والسدر . فكنت اجني النبق فـآكله . حتى أثّر الشوك في ذراعي آثاراً هي باقية به حتى الآن

ثم نزلت مـن ذلك الجبل الى ارض مزدرعة قطناً، وبهـا اشجار الخَرْوَع . وهنالك باين — والباين عندهم بـئر متسعة جداً، مطويـة بالحجارة، لها درج يُنزل عليها الى ورد الماء، وبعضها يكون في وسطه وجوانبه القباب من الحجر والسقايف والمجـالس، ويتفاخر ملوك البلاد وامراؤها بعمارتها في الطرقات التي لا ماء بها — ولما وصلت الى الباين، شربت منه . ووجدت عليه شيئاً من عساليج الخَرْدل، قد سقطت ممن غسلها، فاكلت منها، وادّخرت باقيها . ونمت تحت شجرة خروع . فبينما انا كذلك اذ ورد الباين نحو اربعين فارساً مدّرعين، فدخل بعضهم الى المزرعة، ثم ذهبوا . وطمس الله ابصارهم دوني . ثم جاء بعدهم نحو خمسين في السلاح، ونزلوا الى البـاين . واتى احدهم الى شجرة ازاء الشجرة التي كنت تحتها، فلم يشعر بي . ودخلت اذ ذاك في مزرعة القطن، واقمت بها بقية نهاري . واقاموا على الباين يغسلون ثيابهم، ويلعبون؛ فلما كان الليل، هدأت اصواتهم . فعلمت انهم قد مرّوا او ناموا . فخرجت حينئذٍ واتبعت اثر الخيل، والليل مقمر، وسرت حتى انتهيت الى باين آخر، عليه قبة، فنزلت اليه، وشربت من مائه، واكلت من عساليج الخردل التي كانت عندي . ودخلت القبة، فوجدتها مملوءة بالعشب، ممـا يجمعه

الطير، فنمت بها. وكنت احس حركة حيوان، في تلك العشب، اظنه حية، فلا ابالي لما بي من الجهد.

فلما اصبحت، سلكت طريقاً واسعة تفضي الى قرية خربة. وسلكت سواها، فكانت كمثلها. واقمت كذلك اياماً، وفي بعضها وصلت الى اشجار ملتفّة، بينها حوض ماء، وداخلها شبه بيت، وعلى جوانب الحوض نبات الارض كالنجيل (١ وغيره. فاردت ان اقعد هنالك، حتى يبعث الله من يوصلني الى العمارة. ثم اني وجدت يسير قوّة، فنهضت على طريق وجدت بها اثر البقر، ووجدت ثوراً عليه بردعة ومنجل؛ فاذا تلك الطريق تفضي الى قرى الكفار. فاتبعت طريقاً اخرى فافضت بي الى قرية خربة، ورأيت بها اسودَين عريانَين فخفتهما، واقمت تحت اشجار هنالك. فلما كان الليل دخلت القرية، ووجدت داراً، في بيت من بيوتها شبه خابية كبيرة يصنعونها لاختزان الزرع، وفي اسفلها نقب يسع منه الرجل. فدخلتها، ووجدت داخلها مفروشاً بالتبن، وفيه حجر جعلت رأسي عليه ونمت. وكان فوقها طائر يرفرف بجناحيه اكثر الليل؛ واظنه كان يخاف، فاجتمعنا خائفَين.

واقمت على تلك الحال سبعة ايام، من يوم أُسرت، وهو يوم السبت. وفي السابع منها، وصلت الى قرية للكفار عامرة، وفيها حوض ماء ومنابت خضر. فسألتهم الطعام فأبوا ان يعطوني، فوجدت حول بئر بها،

---

١) النجيل: ضرب من الاعشاب، ينبت في الاقاليم الحارّة، ويكون متقابل الورق كثه، قوي الكعوس، يزهر ازهاراً صفراء وحمراء. ومنه نوع ينبت في بلادنا فيؤكل ورقه، وهو معروف بالبقلة او الفرفحين

اوراق فجل ، فاكلته . وجئت القرية فوجدت جماعة كفار لهم طليمة، فدعاني طليمتهم فلم أجبه، وقعدت الى الارض. فاتى احدهم بسيف مسلول ورفعه ليضربني به ، فلم التفت اليه لعظيم ما بي من الجهد . ففتشني فلم يجد عندي شيئاً ، فاخذ القميص الذي كنت اعطيت كمّيه للشيخ الموكّل بي .

ولما كان في اليوم الثامن ، اشتد بي العطش ، وعدمت الماء . ووصلت الى قرية خراب فلم اجد بها حوضاً . وعادتهم ، بتلك القرى ، ان يصنعوا احواضاً يجتمع بها مـاء المطر، فيشربون منه جميع السنة . فاتبعت طريقاً ، فافضت بي الى بئر غـير مطويّة ، عليها حبل مصنوع من نبات الارض، وليس فيـه آنية يُستقى بها . فربطت خرقة كانت على رأسي في الحبل ، وامتصصت ما تعلّق بها من الماء ، فلم يروِني . فربطت خفي واستقيت به ، فلم يروني . فاستقيت به ثانيـاً ، فانقطع الحبل ، ووقع الخفّ في البئر . فربطت الخفّ الآخر ، وشربت حتى رويت . ثم قطعته فربطت اعـلاه على رجلي ، بحبل البئر وبخرق وجدتها هنالك . فبينا انا اربطها وافكر في حالي ، اذ لاح لي شخص ؛ فنظرت اليه فـاذا رجل اسود اللون ، بيـده ابريق وعكّاز ، وعلى كاهله جراب . فقال لي : « سلام عليك ! » فقلت له : « عليـك السلام ، ورحمة الله وبركاته » فقال لي بالفارسية : « جيكس » معناه : « من انت ؟ » فقلت له : « انا تائه ! » فقال لي : « وانا كذلك » . ثم ربط ابريقه بحبل كان معه ، واستقى ماء . فاردت ان اشرب ، فقال لي : « اصبر » . ثم فتح جرابه فاخرج منه غرفة حمص اسود مقلوّ مع قليل ارز ، فاكلت منه ، وشربت . وتوضّأ وصلّى ركعتين ، وتوضّأت انا وصلّيت . وسألني عن اسمي فقلت : « محمد » . وسألته عن اسمه فقـال لي : « القلب

الفارح » . فتفاءلت بذلك ، وسررت به .

ثم قال لي : « بسم الله ! ترافقني » فقلت : « نعم » . فمشيت معه قليلاً . ثم وجدت فتوراً في اعضائي ، ولم استطع النهوض ، فقعدت . فقال : « ما شأنك ؟ » فقلت له : « كنت قادراً على المشي قبل ان القاك ، فلما لقيتك عجزت » . فقال : « سبحان الله ! اركب فوق عنقي » . فقلت له : « انك ضعيف ! ولا تستطيع ذلك » . فقال : « يقويني الله ! لا بدّ لك من ذلك » . فركبت على عنقه ، وقال : « اكثر من قراءة : » حسبنا الله ونعم الوكيل ! » فاكثرت من ذلك ، وغلبتني عيني . فلم أُفِق الا لسقوطي على الارض . فاستيقظت ، ولم ارَ للرجل اثراً ، واذا انا في قرية عامرة . فدخلتها فوجدتها لرعية الهنود ، وحاكمها من المسلمين .

ثم يلتحق باصحابه ويتابع السفر فيمر بنهر آب سياه ، فدينة قِنَوْج ، فدينة موْري ، فدينة مَرْه ، فَملابور ، فكاليور ، فبَرْوَن « والسباع بهـا كثيرة » ؛ وفيها السحرة المعروفون « بالجوكية » . ثم يسير الى جنديري ، فظهار ، فأُجَيْن ، فدولـة آباد ، فقلعة الدُّوَيقير « وبها فيران ضخام اعظم من القطوط ، والقطوط تهرب منها » ، فنَذَرْ ار ، فصاغر

كِنبايَة

ومن صاغر يسافر الى كِنْبايَة ، فكاوى ، فقَنْدَهار . ومنها يركب البحر في مركب اسمه « الجاكر » فيصل الى جزيرة بَيْرَم ، فقُوقـه ، فسندابور ، فهِنَوْر ،

بلاد المليبار

وبعد ثلاثة ايام وصلنا الى بـلاد المليبار . وهي بلاد الفلفل . وطولها مسيرة شهرين ، على ساحل البحر ، من سندابور الى كولَم .

ذكر الفلفل

وشجرات الفلفل شبيهة بدوالي العنب، وهم يغرسونها ازاء النارجيل فتصعد فيها كصعود الدوالي. الا انها ليس لها عسلوج وهو الغزل، كما للدوالي. واوراق شجره تشبه اوراق الخِيلْ (١) وبعضها يشبه اوراق العلّيق. ويثمر عناقيد صغارًا حبّها كحبّ ابي قنينة (٢) اذا كانت خضرًا. واذا كان اوان الخريف، قطفوه وفرشوه على الحصر في الشمس كما يصنَع بالعنب، عند تزبيبه. ولا يزالون يقلبونه حتى يستحكم يبسه ويسودّ.

واول مدينة دخلها من بلاد مليبار، مدينة ابي سرور، فدينة فاكَنور وذكر سلطانها، فدينة منجَرور، وذكر سلطانها ايضاً، فهيلي، فجرُفتّن، فبُدْفتّن، فقَنْدَرَيْنا، فقالقوط

قالقوط

وهي احدى البنادر العظام ببلاد المليبار، يقصدها اهل الصين، والجاوة، وسيلان، والمَهَل، واهل اليمن، وفارس. ويجتمع بها تجار الآفاق، ومرساها من اعظم مراسي الدنيا.

وذكر سلطانها الكافر. وبعد ان اقام فيها ثلاثة اشهر، تركها قاصدًا

---

١) الخِيلْ: ويُعرف ايضاً « بالسذاب »، ضرب من الاعشاب، ينبت في آسيا واوروبا الجنوبية، متقابل الورق، مجتمع الزهر، ويكون ثمره في جوزة فيها خمسة مقاطع. — ٢) اي العنب

الصين. فوصل الى مدينة كَوْلَمْ ، وهي احسن بلاد المليبار ، وشاهد شجر القرفة والبقم « وهي حطبهم هنالك» يشطونها لطبخ الطعام

ثم سافر من كَوْلَمْ الى هِنَّور حيث اقام ثلاثة اشهر ، واشترك في غزوة ضد كفّارسنداپور ، ووصل الى مدينة شاليات ، فاقام بها طويلاً ، وعاد الى قالقوط . ومن هناك سافر الى جزائر ذيبة المهل

جزائر ذيبة (١ المَهَل

وهذه الجزائر احدى عجائب الدنيا. وهي نحو الفي جزيرة. ويكون منها مائة ، فما دونها ، مجتمعات مستديرة كالحلقة لهـا مدخل كالباب لا تدخل المراكب الا منه. واذا وصل المركب الى احداها ، فلا بد له من دليل من اهلها ، يسير به الى سائر الجزائر. وهي من التقارب بحيث تظهر رؤوس النخل الـتي باحداها ، عند الخروج من الاخرى. فان اخطأ المركب سَمْتَهـا ، لم يمكنه دخولهـا ، وحملته الريـح الى المَعْبَر (٢ او سيلان

ثم يذكر اهلها وعاداتهم ، واشجارها ، واكثرها النارجيل ، واعمال عطاريها ، ويذكر سلطانتها ، وتنقله في مختلف جزرها ، ثم زواجه في هذه الجزر وتوليته القضاء. وبعد ان زار منها جزيرة المَهَل ، وجزيرة ملوك ، سافر في ٢٦ آب ١٣٤٤

سيلان — سرنديب

فسرنا تسعة ايام ، وفي التاسع منها خرجنا الى جزيرة سيلان. ورأينا جبل سرنديب فيها ذاهباً في السماء كانه عمود دخان . . . ولما صعدناه كنا

---

١) ذيبة : تصحيف لفظة «دوِيپَه» السنسكريتية ، ومعناها : « جزيرة »
٢) المَعْبَر : هي البلاد المعروفة اليوم « بكورومانديل »

نرى السحاب اسفل منا ، قد حال بيننا وبين رؤية اسفله . وفيه كثير من الاشجار التي لا يسقط لها ورق ، والازاهير الملوّنة ، والورد الاحمر على قدر الكف . وفي الجبل طريقان الى القدم (١) : احدهما يُعرف « بطريق بابا » ، والآخر « بطريق ماما » يعنون آدم وحواء ، عليهما السلام . فاما « طريق ماما » فطريق سهل ، عليه يرجع الزوار اذا رجعوا ؛ ومن مضى عليه ، فهو عندهم كمن لم يَزُر . واما « طريق بابا » فصعب وعر المرتقى .

ذكر القدم

واثر القدم الكريمة ، قدم ابينا آدم (صلعم) في صخرة سوداء ، مرتفعة ، بموضع فسيح وقد غاصت القدم الكريمة في الصخرة ، حتى عاد موضعها منخفضاً . وطولها احد عشر شبراً .

وذكر سلطان سيلان . ثم سافر الى مدينة مَنَار مَنْدَلي ' فكُنْكَار

ذكر سلطانها

وهو يُعرف بالكُنار ، وعنده الفيل الابيض . ولم ارَ في الدنيا فيلاً ابيض سواه ، يركبه في الاعياد ، ويجعل على جبهته احجار الياقوت العظيمة .

---

١) القَدَم : اي قدم آدم ' لانهم يزعمون ان آدم داس في ذاك الجبل ' فاثرت قدمه هنالك

ذكر الياقوت

والياقوت العجيب البَهْرَمان، قلّما يكون بهذه البلدة. فمنه ما يُخرج من الحور، وهو عزيز عندهم. ومنه مـا يُحفر عنه. وجزيرة سيلان يوجد الياقوت في جميع مواضعها. وهي متملّكة، فيشتري الانسان القطعة منها، ويحفر عن الياقوت، فيجد احجاراً بيضاً مشعّبة. وهي التي يتكوّن الياقوت في اجوافهـا. فيعطيها الحكاكين فيحكونها حتى تنفلق عن احجار الياقوت. فمنه الاحمر، ومنـه الاصفر، ومنـه الأزرق ويسمونه «النيلم»

ذكر القرود

والقرود بتلك الجبال كثيرة جدًا. وهي سود الالوان، لهـا اذناب طوال، ولذكورها حلى كما هي للآدميين. واخبرني الشيخ عثمان وولده، ان هذه القرود لهـا مقدّم تتبعه كانه سلطان، يشدّ على رأسه عصابة من اوراق الاشجار، ويتوكأ على عصاً. ويكون عن يمينه ويساره اربعة من القرود، لهـا عصي بايديها. وانـه اذا جلس القرد المقدّم، تقف القرود الاربعة على رأسه، وتأتي اناثه واولاده فتقعد بـين يديه كل يوم، وتأتي القرود فتقعد على بعـد منه. ثم يكلمها احد القرود الاربعة، فتنصرف القرود كلها. ثم يأتي كل قرد منهـا بموزة او ليمونة او شبه ذلك. فيأكل القرد المقدّم، واولاده، والقرود الاربعة.

ذكر العلق الطيّار

وبهـذا الموضع رأينا العلق الطيار ، ويسمّونه « الزُلو » ، ويكون بالاشجار والحشائش التي تقرب من الماء . فاذا قرب الانسان منه ، وثب عليه . فحيثما وقع من جسده ، خرج منه الدم الكثير . والناس يستعدّون له الليمون يعصرونه عليه ، فيسقط عنهم ، ويجرّدون الموضع الذي يقع عليه ، بسكين خشب معدّ لذلك . ويُذكر ان بعض الزوّار مرّ بذلك الموضع ، فتعلّقت به العلق . فاظهر التجلّد ، ولم يعصر عليها الليمون ، فنزف دمه ومات .

بلاد المَعْبر

ورحل بعد ذلـك الى مدينة كَلَنْبُو ، فبطالة ، وسافر منهـا الى بلاد المعبر فاصابتهم عاصفة قبل النزول « وراوا الموت عياناً » ثم خلصوا . ووفد ابن بطوطة على سلطان المَعْبر ، غياث الدين ووصفه ، ووصف انتصاره عـلى الكفار . ومـن معسكر هذا السلطان سار الرحالة الى العاصمة ، مدينة مُتْرَة ، فرّ بفتّن الى ان وصل مُتْرَة ، وكان جا وبأ شديد فرجع الى بـلاد المليبار ، وجزائر ذيبة المَهَل . فسلبه الكفار بين هِنَوْر ، وفاكنور ، قبل ان يصل الى حزر ذيبة المهل

ذكر سلب الكفار لنا

ولما وصلنا الى الجزيرة الصغرى ، بـين هِنَور وفاكنور ، خرج علينا الكفار في اثني عشر مركباً حربية ، وقاتلونا قتالاً شديداً ، وتغلبوا علينا . فاخذوا جميع مـا عندي ممـا كنت أدّخره للشدائد ، واخذوا الجواهر واليواقيت التي اعطانيها ملك سيلان . واخذوا ثيابي والزوادات

التي كانت عندي ، مما اعطانيه الصالحون والاولياء . ولم يتركوا لي ساتراً خلا السراويل . واخذوا ما كان لجميع الناس . وانزلونا بالساحل .

فرجع الى قالقوط ومنها سار الى جزائر ذيبة المَهَل

بنجالة

ثم سافر في البحر ٤٣ يوماً حتى وصل الى بلاد بنجالة (بنغال) فذكر الرخص العظيم فيها، وفضل سلطانها؛ وزار مدينة سُدْكاوان، فجبال كامَرُو « وبينها وبين سُدْكاوان مسيرة شهر، وهي جبال متسعة متصلة بالصين. وتتصل ايضاً ببلاد التّبت، حيث غزلان المسك ». وبعد ذلك سافر الى مدينة حَبَنْق « ويشقها النهر الازرق »، فمدينة سُنُرْكاوان

جزر الهند – البَرَهْنكار

ولما وصلناها (اي سُنُرْكاوان) وجدنا بها جنكاً (١ يريد السفر الى بلاد الجاوة، وبينهما اربعون يوماً . فركبنا فيه ووصلنا بعد خمسة عشر يوماً الى بلاد البَرَهْنكار، الذين افواههم كافواه الكلاب . وهذه الطائفة من الهمج، لا يرجعون الى دين الهنود ولا الى غيره . وسكناهم في بيوت قصب، مسقّفة بحشيش الارض على شاطئ البحر . وعندهم من اشجار الموز والفوفل والتنبول كثير . ورجالهم على مثل صورنا، الا ان افواههم كافواه الكلاب . واما نساؤهم فلسن كذلك، ولهنّ جمال بارع . . . والفيلة كثيرة عندهم .

ووصل بعدها الى جاوى وذكر سلطانها واحسانه

---

١) الجنك : المركب الكبير

ذكر اللُبان

وشجرة اللبان صغيرة تكون بقدر قامة الانسان الى ما دون ذلك. واغصانها كاغصان الحرشف، واوراقها صغار رقاق، وربما سقطت فبقيت الشجرة منها دون ورقة. واللبان صمغية تكون في اغصانها

ذكر الكافور

واما شجر الكافور فهي قصب، كقصب بلادنا. الا ان الانابيب منها اطول واغلظ. ويكون الكافور في داخل الانابيب. فاذا كسرت القصبة وُجد في داخل الانبوب مثل شكله من الكافور. والسر العجيب فيه انه لا يتكوّن في تلك القصب، حتى يُذبح عند اصولها شيءٌ من الحيوان، والا لم يتكوّن شيءٌ منه.

ذكر العود الهندي

واما العود الهندي فشجره يُشبه شجر البلوط، الا ان قشره رقيق. واوراقه كاوراق البلوط سواء. ولا ثمر له. وشجرته لا تعظم كل العظم. وعروقه طويلة ممتدّة، وفيها الرائحة العطرة. واما عيدان شجرته وورقها فلا عطرية فيها.

ذكر القرنفل

واما اشجار القرنفل فهي عادية ضخمة. وليست بتملكة لكثرتها.

والمجلوب الى بلادنا منها هــو الميدان . والذي يسميه اهل بلادنا نُوّار القرنفل ، هو الذي يسقط من زهره ، وهــو شبيه بزهر النارنج . وثمــر القرنفل هو جوز بُوّا المعروفة في بلادنا بجوزة الطيب .

ثم سافر ٣٦ يوماً فوصل الى « البحر الكاهل وهو الراكد » (الپاسيفيك) فحلّ في مرسى كَيْلوكَري ووصف ملكتها . ومنها سافر ١٧ يوماً فوصل الى بلاد الصين

الفصل الخامس عشر

بلاد الصين

اقليم الصين متسع كثير الخيرات ، والفواكه ، والزرع ، والذهب ، والفضة ، لا يضاهيه في ذلــك اقليم من اقــاليم الارض . ويخترقه النهر المعروف « بآب حياة » معنى ذلك « ماء الحيــاة » ويسمى ايضــاً نهر السّبر (١ ، كاسم النهر الذي بالهند ، ومنبعه مــن جبال ، بقرب مدينة خان بالق (٢ تُسمّى « كوهِ بوزنه » معناه « جبل القرود » . ويمر في وسط الصين مسيرة ستة اشهر الى ان ينتهي الى صين الصين (٣ وتكتنفه القرى والمزارع والبساتــين والاسواق ، وعليه النواعير الكثيرة . وببــلاد الصين السكّر الكثير ، والاعنــاب ، والإجّاص ، والبطيخ العجيب . وكل مــا

١) والصواب : نهر السَرُو وهو النهر الاصفر
٢) خان بالِق : هي مدينة باكين
٣) صين الصين : هي كانتون الحالية

ببلادنا من الفواكه فان بها ما هو مثله واحسن منه. والقمح بها كثير جداً ولم ارَ قمحاً اطيب منه، وكذلك العدس والحمص.

ذكر بعض من احوال اهل الصين

واهل الصين كفار يعبدون الاصنام، ويُحرقون موتاهم كما تفعل الهنود. وملك الصين تتري من ذرية تنكيزخان (١). وكفار الصين يأكلون لحوم الخنازير والكلاب، ويبيعونها في اسواقهم. وهم اهل رفاهية وسعة عيش، الا انهم لا يحتفلون في مطعم ولا ملبس. . . انما يحتفلون في اواني الذهب والفضة. ولكل واحد منهم عكاز يعتمد عليه في المشي، ويقولون: « هو الرِّجل الثالثة !» والحرير عندهم كثير جداً، لان الدود تتعلق بالثمار، وتأكل منها، فلا تحتاج الى كثير مؤنة. ولذلك كثر، وهو لباس الفقراء والمساكين. . . وعادتهم ان يسبك التاجر ما يكون عنده من الذهب والفضة قطعاً، تكون القطعة منها من قنطار فما فوقه وما دونه، ويجعل ذلك على باب داره.

ذكر دراهم الكاغد التي بها يبيعون ويشترون

واهل الصين لايتبايعون بدينار ولا درهم، وجميع ما يتحصَّل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطعاً كما ذكرناه. وانما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد، كل قطعة منها قدر الكف، مطبوعة بطابع السلطان وتُسمّى الخمس والعشرون قطعة منها « بالِشْت » وهو بمعنى الدينار عندنا. واذا تمزَّقت تلك الكواغد في يد انسان، حملها الى دار، كدار السكة

١) تنكيزخان: هو جنكيزخان

عنـدنا، فاخذ عوضها جُدُدًا، ورفع تلك . ولا يُعطي على ذلك اجرة ولا سواها، لان الـذين يتولّون عملها، لهـم الارزاق الجارية مـن قبل السلطان، وقد وُكل بتلك الدار امير من كبار الامراء .

ذكر ما خُصّوا به من احكام الصناعات

واهل الصين اعظم الأمم احكاماً للصناعات، واشدّهم اتقاناً فيها. وذلك مشهور من حالهم قد وصفه النـاس فاطنبوا فيه . واما التصوير فلا يجاريهم احد في إحكامه، من الروم ولا من سواهم . فان لهم فيه اقتدارًا عظيماً . ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك، اني ما دخلت قط مدينة من مدنهم ثم عدت اليها الا ورأيت صورتي وصور اصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد، موضوعة في الاسواق. ولقد دخلت الى مـدينة السلطان(١ فمررت على سوق النقاشين، ووصلت الى قصر السلطان مـع اصحابي، ونحن على زيّ العراقيـين . فلما عدت من القصر عشياً، مررت بالسوق المذكورة، فرأيت صورتي وصور اصحابي منقوشة في كاغد، قـد الصقوه بالحائط . فجعل كل واحد منا ينظر الى صورة صاحبـه لا تخطئ شيئاً من شبهه . وذُكر لي ان السلطان امرهم بـذلك، وانهم اتوا الى القصر، ونحن فيـه . فجعلوا ينظرون الينا، ويصوّرون صورنا، ونحن لم نشعر بذلك . وتلك عـادة لهم في تصوير كل من يمرّ بهم . وتنتهي حالهم في ذلك الى ان الغريب، اذا فعل مـا يوجب فراره عنهم، بعثوا صورته الى البلاد . وبُحث عنه، فحيثما وُجد شبه تلك الصورة، أُخذ .

---

١) مدينة السلطان : اي خان بالق (باكين)

وجال ابن بطوطة في الصين فزار مدينة الزيتون (تشيُون-تشيو-فو)، وصين الصين (كانتون) وهيكلها، ثم سافر في النهر الى مدينة خان بالِق (باكين) بعد ان مرَّ بقَنْجَنْفُو، فبَيْوَم قُطْلُو، فالخَنْسا (هانغ- تشيو- فو) وهي تقسم الى ست مدن كبيرة، وزار فيها الامير قُرطي «وهو امير امراء الصين» وشاهد عنده عمل شَعْوَذَة فرواه :

حكاية المشَعْوِذ

وفي تلك الليلة حضر احد المشعوذة، وهو من عبيد القان (١)، فقال له الامــير: «ارنا من عجائبك!» فاخذ كُرة خشب لها ثقب فيها سيور طوال، فرمى بها الى الهواء، فارتفعت حتى غابت عن الابصار. ونحن في وسط المِشور، ايام الحرّ الشديد. فلما لم يبقَ من السير في يده الا يسير، امر متعلّماً له، فتعلّق بــه، وصعد في الهواء الى ان غاب عن ابصارنا. فدعاه فلم يجبه ثلاثاً. فاخذ سكيناً بيده كالمغتاظ وتعلّق بالسير الى ان غاب ايضاً. ثم رمى بيد الصبي الى الارض، ثم رمى برجله، ثم بيده الاخرى، ثم برجله الاخرى، ثم بجسده، ثم برأسه. ثم هبط وهو ينفخ، وثيــابه ملطّخة بالدم. فقبل الارض بين يدي الامير، وكلّمه بالصيني. وامر له الامير بشيء. ثم انه اخذ اعضاء الصبي، فالصق بعضها ببعض، وركضه برجله، فقام سويا. فعجبت منه، واصابني خفقان القلب، فسقوني ما اذهب عني ما وجدت. وكان القاضي، افخر الدين، الى جانبي، فقال لي: «والله، ما كان من صعود، ولا نزول، ولا قطع عضو. وانما ذلك شَعْوَذة».

---

١) القان : لقب ملك الصين والخطا

ثم دخل الرحالة الى بلاد الخطا (الصين الشمالية) فوصل الى مدينة خان بالق (باكين) «وهي حضرة القان وهو سلطانهم الاعظم الذي مملكته بلاد الصين والخطا» ثم وصفه ووصف قصره «واكثر عمارته بالخشب المنقوش»

الفصل السادس عشر

من باكين الى فاس

ورجع المسافر على طريقه. ولما قاربوا بلاد طوالسي تغيّرت الريح فأقاموا ٤٢ يوماً لا يعرفون في اي البحار هم

ذكر الرخ

ولما كان في اليوم الثالث والاربعين ظهر لنا، بعد طلوع الفجر، جبل في البحر، بيننا وبينه نحو عشرين ميلاً، والريح تحملنا الى صوبه. فعجب البحرية وقالوا: «لسنا بقرب من البرّ، ولا يُعهد في هذا البحر جبل، وان اضطرتنا الريح اليه هلكنا». فلجأ الناس الى التضرّع والاخلاص، وجدّدوا التوبة. وابتهلنا الى الله بالدعاء، وتوسّلنا بنبيّه (صلعم). ونذر التجار الصدقات الكثيرة، وكتبتُها لهم في زمام بخطي. وسكنت الريح بعض سكون. ثم رأينا ذلك الجبل، عند طلوع الشمس، قد ارتفع في الهواء، وظهر الضوء فيما بينه وبين البحر. فعجبنا من ذلك. ورأيت

البحريّة يبكون، ويودّع بعضهم بعضاً. فقلت: «ما شأنكم؟» فقالوا: «ان الذي تخيّلناه جبلاً هو الرخّ، وان رآنا اهلكنا». وبيننا اذ ذاك وبينه، اقلّ من عشرة اميال. ثم ان الله تعالى منَّ علينا بريح طيّبة صرفتنا عن صوبه، فلم نره ولا عرفنا حقيقة صورته.

وبعد شهرين وصل الى الجاوة، فنزل الى سومطرة وسار منها الى كولم، فقالقوط، ومنها الى ظفار، فمسقط، فشيراز، فالبصرة، فالحلّة، فبغداد، فتدمر، فدمشق «وكانت مدّة مغيبه عنها عشرين سنة كاملة» فحمص، فحماة، وكان ذلك في اوائل حزيران ١٣٤٨ فبلغه ان وبأ الطاعون ظهر في غزّة، فرجع الى دمشق، ومنها الى بيت المقدس، فدمياط، فالاسكندرية، فالقاهرة. ومنها حجّ الى مكة للمرّة الرابعة. وعاد الى المغرب عن طريق مصر، فوصل الى فاس في ٨ تشرين الثاني ١٣٤٩

وفي فاس نزل بلاط السلطان ابي عنان، وامتدحه كثيراً فاستقبله هذا واكرمه. واقام ابن بطوطة في حاشيته حتى بدأ رحلته الثانية

تحفة النظار

في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

الرحلة الثانية

١٣٥٠ — ١٣٥١

فاس — سبتة — جبل طارق — رُنْدَة — مربلة — سُهَيل — مالقة — بلّش — الحَمَّة — غرناطة — الحَمَّة — بلّش — مالقة — حصن ذَكْوان — رُنْدَة — قرية بني رياح — جبل طارق — سبتة — اصيلا — سلا — مراكش — سلا — مكناسة — فاس.

الرحلة الثانية

طنجة — سبتة

ولما حصلت لي شهادة هذا المقام الكريم(١)، وعمّني فضل احسانه العميم، قصدت زيارة قبر الوالدة، فوصلت الى بلدي طنجة، وزرتها.

وتوّجهت الى مدينة سبتة، فاقمت بها اشهراً، واصابني بها المرض ثلاثة اشهر. ثم عافاني الله...

الاندلس

فركبت البحر من سبتة في شطي لاهل اصيلا، فوصلت الى بلاد الاندلس... وكان ذلك اثر موت طاغية الروم، أذفونس(٢)، وحصاره الجبل عشرة اشهر، وظنّه انه يستولي على ما بقي من بلاد الاندلس للمسلمين. فاخذه الله من حيث لم يحتسب، ومات بالوبأ(٣) الذي كان اشدّ الناس خوفاً منه.

جبل طارق

واول بلد شاهدته من البلاد الاندلسية جبل الفتح(٤) فرايت عجائب

---

١) المقام الكريم: مقام السلطان ابي عنان

٢) ادفونس: هو الفونس الحادي عشر (١٣١٢—١٣٥٠)

٣) الوبأ: اي وبأ الطاعون

٤) جبل الفتح: هو جبل طارق

ما بنى به مولانا ابو الحسن (١ (رضه) واعدَّ فيه، وما زاد فيه مولانا، ايده الله. ووددت ان لو كنت ممن رابط به الى نهاية العمر.

رُنْدَة – مَرْبَلَة

ثم خرجت من جبل الفتح الى مدينة رُنْدَة، وهي من امنع معاقل المسلمين واجملها وضعاً . . . وكان قاضيها ابن عمي الفقيه ابو القاسم محمد ابن يحيي ابن بطوطة.

ثم سافرت منها الى مرْبلة، والطريق فيما بينهما صعب شديد الوعورة. ومَرْبلة بليدة حسنة خصبة.

وبات في حوز سهَيل ليلة ثم سار الى

مالقة

احدى قواعد الاسلام، وبلادها الحسان، جامعة بين مرافق البرّ والبحر، كثيرة الخيرات والفواكه. رأيت العنب يُباع في اسواقها بحساب ثمانية ارطال بدرهم صغير، ورمّانها المُرسي الياقوتي لا نظير له في الدنيا. واما التين واللوز فيجلبان منها ومن احوازها الى بلاد المشرق والمغرب. وبمالقة يُصنع الفخّار المذهّب العجيب، ويُجلب منها الى اقاصي البلاد.

بلّش

ثم سافرت منها الى مدينة بلّش، وبينهما اربعة وعشرون ميلاً وهي مدينة حسنة بها مسجد عظيم وفيها الاعناب والفواكه والتين كمثل بمالقة.

---

١) استولى ابو الحسن على جبل طارق سنة ١٣٣٣ بعد ان ظلّ نحو عشرين سنة بيد الاسبانيين، فحصنه وبنى به سوراً

ثم مر بالحمّة الى

غرناطة

قاعدة بلاد الاندلس، وعروس مدنها. وخارجها لا نظير له في بلاد الدنيـا وهو مسيرة اربعين ميلاً، يختـرقه نهر شنّيل المشهور وسواه من الانهار الكثيرة، والبساتين، والجنّات، والرياضات، والقصور، والكروم محدقة بها من كل جهة. ومن عجيب مواضعها عين الدمع، وهو جبل فيه الرياضات والبساتين لا مثل له بسواها.

ذكر سلطانها

وكان ملك غرناطة، في عهد دخولي اليها، السلطان ابا الحجّاج يوسف ابن السلطان ابي الوليد اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر. ولم القه بسبب مرض كان به. وبعثت اليّ والدته الحرّة الصالحة الفاضلة، بدنانير ذهب ارتفقت بها. ولقيت بغرناطة جملة من فضلائها.

ثم رجع منها على طريقه الى الحمّة، فبلّش، فمالقة، فحصن ذكوان، فرُندة، فقرية بني رياح، فجبل الفتح، فسبتة، فاصيلا، فسلا، فمراكش. ومن هناك رافق السلطان الى سلا، فمكناسة، ففاس.

تحفة النظار

في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

الرحلة الثالثة

اواخر سنة ١٣٥١ — اوائل سنة ١٣٥٤

فاس — سجلماسة — تَغازي — تاَسرَهلا — ايوالاتِن — زاغري — كارسَخو — مالي — قُرى منسى — زاغري — مِيمة — تُنبكتو — كَوكَو — تكَدا — كاهُر — بلاد هكار — بودا — سجلماسة — دار الطمع — فاس .

الرحلة الثالثة

سجلماسة

توجهت برسم السفر الى بلاد السودان، فوصلت الى مدينة سجلماسة. وهي من احسن المدن، وبها التمر الكثير الطيب، وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر، لكن تمر سجلماسة اطيب، وصنف «إيرار» منه لا نظير له في البلاد. . . واشتريت بها الجمال وعلفتها اربعة اشهر. ثم سافرت في غرة شهر الله المحرم سنة ثلاث وخمسين (١.

تغازى — معدن الملح

فوصلنا بعد خمسة وعشرين يوماً الى تغازى، وهي قرية لا خير فيها. ومن عجائبها ان بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح، وسقفها من جلود الجمال، ولا شجر بها. انما هي رمل فيه معدن الملح يُحفر عليه بالارض، فيوجد منه الواح ضخام متراكبة كانها قد نُحتت ووضعت تحت الارض، يحمل الجمل منها لوحين. ولا يسكنها الّا عبيد مسوّفة الذين يحفرون على الملح. . . وبالملح يتصارف السودان، كما يُتصارف بالذهب والفضة، يقطعونه قطعاً ويتبايعون به. وقرية تغازى، على حقارتها، يُتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر. واقمنا بها عشرة ايام في جهد، لان ماءها زُعاق، وهي اكثر المواضع ذباباً.

---

١) الموافق: ١٨ شباط ١٣٥٢

ثم بين عشرة ايام في صحراء تكثر بها الكمأة، والقمل ايضاً. ثم يصل الى تاسَرَهلا. فيذكر التكشيف.

ذكر التكشيف

والتكشيف اسم لكل رجل من مَسُّوفة، يكتريه اهل القافلة فيتقدّم الى ايوالاتن بكُتُب الناس الى اصحابهم بها، ليكتروا لهم الدور ويخرجوا للقائهم بالماء مسيرة اربع. وربما هلك التكشيف في هذه الصحراء، فلا يعلم اهل ايوالاتن بالقافلة، فيهلك اهلها او الكثير منهم.

وتلك الصحراء كثيرة الشياطين، فان كان التكشيف منفرداً لعبت به واستهوته، حتى يضلّ عن قصده فيهلك، اذ لا طريق يظهر بها ولا اثر. انما هي رمال تسفيها الريح فترى جبالاً من الرمل في مكان. ثم تراها قد انتقلت الى سواه. . . والبقر الوحشية بها كثيرة، يأتي القطيع منها حتى يقرب من الناس، فيصطادونه بالكلاب والنشاب. ولكن لحمها يولد اكله العطش. ومن العجائب ان هذه البقر، اذا قُتلت، وجد في كروشها الماء. ولقد لقيت اهل مَسُّوفة يعصرون الكرش منها، ويشربون الماء الذي فيه. والحيّات ايضاً بهذه الصحراء كثيرة.

ايوالاتن

ثم وصلنا الى مدينة ايوالاتن، في غرّة شهر ربيع الاول، بعد سفر شهرين كاملين من سجلماسة. وهي اول عمالة السودان. ونائب السلطان بها فربا حُسين، وفَرْبا معناه النائب.

ذكر مَسُّوفة الساكنين بايوالاتن

وشأن هـؤلاء القوم عجيب وامرهم غريب. فاما رجالهم فـلا غيرة لديهم، ولا ينتسب أحدهم الى ابيه بل ينتسب لخاله، ولا يرث الرجلَ الا ابنـاء اخته دون بنيه. وذلك شيء ما رأيته في الدنيا الا عند كفّار بلاد المليبار من الهنود. واما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات، وتعلُّم الفقه، وحفظ القرآن.

بين ايوالاتن ومالي

وخرجت في ثلاثـة من اصحابي. وتلك الطريق كثيرة الاشجار، واشجارها عـادية ضخمة، تستظلّ القافلة بظل الشجرة منها. . . وبعض تلك الاشجار قـد استاسن داخلها، واستنقع فيه مـاء المطر فكأنها بئر ويشرب النـاس من الماء الذي فيها . . . ولقد مررت بشجرة منها فوجدت في داخلها رجلًا حائكا قد نصب بها مرمّته وهو ينسج، فعجبت منه.

ثم وصل الى قرية زاغري، فالى «النهر الاعظم» وهو النيل » (النيجر) « وعليه بلـدة كارسخو » وهو ينحدر منها الى كارَة، فزاغة، فتُنبكتو، فكَو كَو، فولي، فيوفي، فبلاد النوبة، فدُنقلة، فجنادل. ورأى ابن بطوطة التمساح بالقرب من الساحل « كأنه قارب صغير ».

ثم وصل الى مـالي حضرة ملك السودان، واسمه مَنسى سليمان–ومَنسى معنـاها السلطان — « وهو ملك بخيـل لا يُرجى منـه كبير عطاء » على انه احسن الى ابن بطوطة.

ذكر تذلل السودان لملكهم ، وتتريبهم له ، وغير ذلك من احوالهم

والسودان اعظم الناس تواضعاً لملكهم، واشدّهم تذللا له، ويحلفون باسمه فيقولون: « مَنسى سليمان كي ! » . فـاذا دعا باحدهم عنـد جلوسه بالقبّة، نزع المدعو ثيـابه، ولبس ثياباً خلقة . ونزع عمـامته، وجعل شاشية وسخة . ودخـل رافعاً ثيابه وسراويله الى نصف ساقه، وتقدّم بـذلة ومسكنة . وضرب الارض بمرفقيه ضرباً شديداً، ووقف كالراكع يسمع كلامه . واذا كلّم احدهم السلطان ، فردّ عليه جوابه، كشف ثيـابه عن ظهره، ورمى بالتراب على رأسه وظهره، كما يفعل المغتسل بالماء . وكنت اعجب منهم كيف لا تعمى اعينهم .

ويذكر بعد ذلك « الاضحوكة في انشاد الشعراء للسلطان » ويتهكّم عليهم

ذكر ما استحسنته من افعال السودان وما استقبحته منها

فمن افعـالهم الحسنة قلة الظلم . فهم ابعد الناس عنه، وسلطانهم لا يسامح احـداً في شيء منه ؛ ومنها شمول الامن في بـلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم، من سارق ولا غاصب . ومنهم عـدم تعرّضهم لمال من يموت بـبلادهم من البيضان ، ولو كان القنـاطير المقنطرة . . . ومنها مواظبتهم للصلوات والتزامهم لها في الجماعات، وضربهم اولادهم عليها .

ومن مساوئ افعالهم كون الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرون للناس عرايا، ومنها جعلهم التراب والرماد على رؤوسهم تأدّباً . ومنها ان

كثيراً منهم يأكلون الجيف والكلاب والحمير.

وخرج عن مالي في ٢٢ محرم ٧٥٤، فسار الى خليج كبير يخرج من النيل

حكاية

السودان الذين يأكلون بني آدم

قدمت على السلطان منسى سليمان جماعة من هؤلاء السودان، معهم امير لهم. وعادتهم ان يجعلوا في آذانهم اقراطاً كباراً، وتكون فتحة القرط منها نصف شبر، ويلتحفون في ملاحف الحرير. وفي بلادهم يكون معدن الذهب. فاكرمهم السلطان واعطاهم في الضيافة خادمة فذبحوها واكلوها ولطخوا وجوههم وايديهم بدمها واتوا السلطان شاكرين. وذكر لي عنهم انهم يقولون: «ان اكل الابيض مضر، لانه لم ينضج». والاسود هو النضيج بزعمهم.

ومن هناك سافر الى قرى ميمى، فزاغري، فيمة، فتُنْبُكتو، «وفيها قبر الشاعر المُفلق ابي اسحق الساحلي الغرناطي المعروف ببلده بالطُوَيْجن» ومن هناك الى كَوكَو فمرّ ببلاد بَرْدامة. ثم وصل الى تكدّا، وبجارحها معدن النحاس

وفيما هو بتكدّا وصله امر السلطان ابي عنان بالرجوع، فخرج من تكدّا في ١٢ ايلول ١٣٥٣، ومرّ بكاهُر على طريق توات «وهناك ماء يجري على الحديد، فاذا غُسل به الثوب الابيض، اسودَّ لونه». ثم وصل الى

بلاد هكّار

وهم طائفة من البربر ملثَّمون لا خير عندهم. ولقينا احد كبرائهم، فحبس القافلة حتى غرموا له اثواباً وسواها.. وسرنا في بلاد هكار شهراً وهي قليلة النبات كثيرة الحجارة، طريقها وعر.

ثم وصل الى بودا، «من اكبر قرى توات» فالى سجلماسة في اواخر كانون الاول ١٣٥٣، ومنها قصد الى فاس

انتهاء الرحلة

فوصلت الى فاس حضرة مولانا امير المؤمنين، ايده الله. فقبّلت يده الكريمة، وتيمنت بمشاهدة وجهه الكريم، واقمت في كنف احسانه بعد طول الرحلة. والله تعالى يشكر ما اولانيه من جزيل احسانه، وسابغ امتنانه، ويديم ايامه، ويمتع المسلمين بطول بقائه.

وها هنـا انتهت الرحلة المسماة «تحفة النظّار، في غرائب الامصار، وعجائب الاسفار» وكان الفراغ من تقييدها في ثالث ذي الحجّة عام ستة وخمسين وسبعمائة (١» والحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى» (٢.

خاتمة ابن جزي

انتهى مـا لخصته من تقييد الشيخ ابي عبـد الله محمد ابن بطوطة اكرمه الله. ولا يخفى على ذي عقل ان هذا الشيخ هـ رحّال العصر، ومن قـال رحّالة هذه الملّة لم يبعد. ولم يجعل بلاد الدنيا للرحلة، واتخذ حضرة فاس قرارًا ومستوطنًا بعد طول جولانه، الّا لما تحقّق ان مولانا، ايده الله، اعظم ملوكها شأنًا، واعمّهم فضائل، واكثرهم احسانًا، واشدّهم بالواردين عليه عناية، واتمهم الى من ينتمي الى طلب العلم حماية.

١) الموافق : ١٨ كانون الاول ١٣٥٥

٢) القرآن: سورة النمل: ٦٠